الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون – تيارت –
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي
تخصص نقد حديث
فرع: دراسات نقدية

مذكرة التخرج لنيل شهادة الماستر الموسومة ب :

المنحى الحجاجي
في تفسير التحرير و التنوير الطاهر بن عاشور -دراسة ف المقدمة-

من إعداد:
- دورمان أحلام
- عقون بسمة

إشراف الأستاذ
د. زروقي عبد القادر

لجنة المناقشة:

د/ كراش بخولة : ..... رئيسا
د/ زروقي عبد القادر ..... مشرفا ومقررا
د/ عدة. قادة .....عضو مناقشا

السنة الجامعية : 1439ه – 1440 ه
2018 م – 2019 م

بسم الله الرحمن الرحيم

اهداء

بدأنا بأكثر من يد وقاسينا أكثر من هم وعانينا الكثير من الصعوبات وهانحن اليوم والحمد لله نطوي سهر الليالي وتعب الأيام وخلاصة مشوارنا بين دفتي هذا العمل المتواضع.

إلى منارة العلم والإمام المصطفي إلى الأمي الذي علم المتعلمين إلى سيد الخلق إلى رسولنا الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

إلى الينبوع الذي لا يمل العطاء إلى من حاكت سعادتي بخيوط منسوجة من قلبها إلى والدتي العزيزة "

إلى من سعى وشقى لأنعم بالراحة والهناء الذي لم يبخل بشيء من أجل دفعي في طريق النجاح إلى والدي العزيز "

إلى الرفيق الأول للطفولة , وسندي في هذه الدنيا فأنت العون لي في هذه الحياة, أخي العزيز**:" محمد المأمون** " حفظك الله ورعاك.

إلى سندي وقوتي وملاذي بعد الله ,إلى الذين أثروني على نفسهم , إلى من اظهروا لي ماهو أجمل من الحياة إخوتي **: "عائشة , الحاجة , مسعودة , حفصة , حنان** ".

إلى فاكهة العائلة " خالد , يوسف , جمانة .

إلى من سرنا سوياً ونحن نشق الطريق معاً نحو النجاح والإبداع إلى من تكاتفنا يداً بيد ونحن نقطف زهرة تعلمنا **" دورمان أحلام"**

إلى من قضيت معهم أجمل أيام حياتي وعشت معهم أحلى الذكريات فكانوا اسعد الناس بنجاحي صديقاتي **" خديجة, زينب,بشرى,حورية, فتيحة,فيروز,لبنى, لامية,نزهة, حليمة"**

إلى من علمونا حروفا من ذهب وكلمات من درر وعبارات من أسمى وأجلى عبارات في العلم

إلى من صاغوا لنا علمهم حروفا ومن فكرهم منارة تنير لنا سيرة العلم والنجاح إلى أساتذتنا الكرام ..

ع. بسمة

و بعثوا فيا الشجاعة

و هيئوني بكل الوسائل و الطرق .... إلى هذا المستوى

أبي ز أمي أدامهما وافر الصحة و أطال عمرهما

إلى إخوتي و أخت الوحيدة

إلى كل عائلتي

إلى صديقتي و شريكتي في العمل

إلى السادة الحضور

د. أحلام

لا يسعنا في هذا المقام إلا أن نشكر الله تعالى الذي أعاننا بالقدرة على قطع مسيرتنا فلله الحمد والمنة ,ولا ننسى أن نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف

" **زروقي عبد القادر** " الذي شرح لنا صدره فكان نعم الموجه وخير المرشد, ولم يبخل علينا بنصائحه وإرشاداته, فشكر خاص له.

إلى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد ,حتى ولو بكلمة زادتنا قدرة على المواصلة والاجتهاد.

كما لا يفوتنا أن نتقدم بجزيل الشكر لقسم اللغة العربية وآدابها بجامعة ابن خلدون –تيارت- على ما قدمه لنا.

مقدمة

مقدمة :

الحمد لله الذي أوسع في كتابه أسرار البيان، ثم وقف أهل العلم إلى تفسيره وبيان أحكامه والكشف على دلالته وإظهار إعجازه للعالمين, فليس كتاب في هذا الوجود نال من العناية على مر الدهور ما نال هذا الكتاب العظيم ولا يرى له من الذكر.

أما بعد:

لقد اهتم علماؤنا بالبحث القرآني واحتلت الدراسات القرآنية حيزا لا بأس به في مجال الدراسات والأبحاث ومن هؤلاء المفسرين الطاهر بن عاشور من أعمق علماء عصره مؤلف تفسير التحرير والتنوير شيخ جامعة الزيتونة بتونس حيث وضع فيه نظرته التجديدية والإصلاحية وتميز هذا التفسير بالجوانب البلاغية للقران وقد شمل هذا التفسير عشر مقدمات .

إن التفسير هو أول علوم القران نشأة إذ ظهر منذ عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ، ففهم الصحابة القران الكريم بسليقتهم العربية الأصيلة إلا من أشكل عليهم أحيانا فيسالون عنه الرسول صلى الله عليه وسلم ليجيبهم، وعليهم اخذ الصحابة رضوان الله عليهم القران الكريم لفظا ومعنى، فالنص التفسيري هو نص يهدف إلى تقديم معلومات حول موضوع معين ويكون على صورة الإجابة عن أسئلة تستهدف التوضيح والشرح والتفسير والتأويل كما تهدف إلى تحقيق الفهم والاستيعاب لدى القارئ في حين أن النص الحجاجي هو احد أنواع النصوص التي تهتم بدراسة الفعالية الحجاجية وهو عبارة عن وسيلة من وسائل الإقناع والتعبير عن الرأي التي يؤتى بها إما للتأكيد عن صحة الرأي أو بطلانه.

يتميز النص الحجاجي عن غيره من النصوص لكثرة الحقول المعرفية التي تشمله ومن مقومات النص الحجاجي الربط بين الفقرات والربط بين الجمل واستخدام معجم الموازنة والمقابلة والمجادلة ويكتب النص الحجاجي بلغة تقريرية موضوعية ويعبر عن الأفكار المراد طرحها بوضوح ومبـ أ

من هذا المنطلق اهتممنا بالتركيز على اكتشاف المنحى الحجاجي في تفسير الطاهر بن عاشور وقد إكتفينا في ذلك بالمقدمات العشر, وكان اختيارنا لهذا الموضوع أسباب :

محاولة البحث في كتاب التحرير والتنوير لابن عاشور لأنه احد كتب التفسير التي تستحق الدراسة وإظهار آليات الحجاج في القران الكريم، كما أن صاحبه خص اهتمامه بالدقائق البلاغية .

وهذا ما يدفعنا إلى طرح التساؤلات التالية :

* ماهو التفسير ؟

* ماهو الحجاج ؟

* ماهي الأساليب الحجاجية ؟

* ماهي آليات الحجاج من خلال المقدمة؟

وإننا لا نزعم أننا أول من تناول هذه الدراسة في الساحة المعرفية وإنما هناك دراسات أخرى سابقة منها:

مباحث التشبيه والتمثيل في تفسير التحرير والتنوير – دراسة دكتوراه مقدمة لكلية اللغة العربية بجامعة أم القرى من الباحث شعيب بن احمد الغزالي, خصائص بناء الجملة القرآنية ودلالتها البلاغية في تفسير التحرير والتنوير دراسة مقدمة لكلية اللغة العربية بجامعة أم القرى من الباحث إبراهيم الجعيد.

وليتميز البحث بالدقة ويكون أكثر تنظيما للوصول إلى نتائج سليمة اعتمدنا في ذلك المنهج الوصفي لأنه الأنسب لمثل هذه الدراسة.

ولكي يستقيم موضوع دراستنا اعتمدنا ب ن المصادر والمراجع :

- التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور .

- لسان العرب لابن منظور.

- تجليات الحجاج في الخطاب النبوي.

- البرهان في علوم القران للزركشي.

كما لقي بحثنا مجموعة من الصعوبات تمثلت في صعوبة الموضوع في حد ذاته لأنه يعود إلى جذور فلسفية إضافة إلى صعوبة تحليل الآيات القرآنية.

ولكن بعون الله وبحمده تم تذليل كل صعب واستطعنا بفضله تعالى توضيح ما استطعنا بيانه فان أصبنا فمن الله عز وجل وان أخطانا فمن أنفسنا.

وقد تجلى بحثنا هذا في خطة منهجية تبدت في :

المدخل تحت عنوان و منهج ابن عاشور وتناولنا فيه :

- منهجه في التفسير.

- مصادر في التفسير.

- الآراء حول تفسيره.

- إضافاته في التفسير.

ثم تناولنا فصلين :

ج

فصلا يتضمن : - تعريف التفسير لغة واصطلاحا.

- تعريف الحجاج لغة واصطلاحا.
- أنواع التفسير .
- أنواع الحجج.
- آليات تحليل نص حجاجي
- خصائص النص الحجاجي.

وفصلا تطبيقي يتضمن : تلخيص المقدمات العشر ودراسة الأساليب و الروابط الحجاجية .

وقد أل البث إلى خاتمة تمكنا فيها من رصد مجموعة من النتائج.

وقبل أن نختم المقدمة نرى انه من باب الاعتراف بالجميل ان نذكر فضل أستاذنا المشرف "زروقي عبد القادر" الذي فتح لنا صدره من اليوم الأول من مشوار الدراسة, نتوجه إليه بالشكر الخاص لما أولانا به من عناية ورعاية, ولا يفوتنا إلى نتوجه بجزيل الشكر إلى جميع أساتذتي وكل ما قدموا لنا مساعدات علمية .

- ونتمنى التوفيق من الله العلي القدير فهو الهادي إلى سواء السبيل.

مدخل:
منهج ابن عاشور

منهج الطاهر بن عاشور في التفسير :

وقد أشار إلى محتوى تفسيره ومنهجيته التي اعتمدها في تتبع وتفسير كل ما يتعلق بالآيات والسور فقال:" وقد اهتممت في تفسيري هذا ببيان وجوه الإعجاز, ونكت البلاغة العربية وأساليب الاستعمال, واهتممت أيضا ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض, وهو منزع جليل قد عني به فخر الدين الرازي وألف فيه برهان الدين البقاعي كتابه المسمى نظم الدرر في تناسب الآي والسور, إلا أنهما لم يأتيا في كثير من الآي بما فيه مقنع, فلم تزل أنظار المتأملين لفصل القول تتطلع... واهتممت بتبيين معاني المفردات في اللغة العربية بضبط وتحقيق, مما خلت عن ضبط كثير منه قواميس اللغة، وعسى أن يجد فيه المطالع تحقيق مراده, ويتناول منه فوائد ونكتا غلى قدر استعداده، فاني بذلت الجهد في الكشف عن نكت من معاني القران وإعجازه خلت عنها التفاسير، ومن أساليب الاستعمال الفصيح ما تصبو إليه همم النحارير [1].

كما وقد أفصح عن السبب لاهتمامه بتحديد أغراض السورة في طليعة ما يهتم به قبل تفسير آياتها قائلا:" أما البحث عن تناسب مواقع السور بعضها اثر بعض, فلا أراه حقا على المفسر، ولم أغادر سورة إلا بينت ما احي طبه من أغراضها, لئلا يكون الناظر في تفسير القران مقصورا على بيان مفرداته ومعاني جمله, كأنها فقر متفرقة تصرفه عن روعة انسجامه, وتحجب عنه روائع جماله [2]. وقد امتدح تفسيره بأنه: "ساوى هذا التفسير على اختصاره مطولات القماطير [3]، ففيه أحسن ما في التفاسير, وفيه أحسن مما في التفاسير [4].

وفي نهاية تمهيده أشار إلى اسم التفسير ومختصره, فقال :" وسميته تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد, واختصرت هذا الاسم باسم التحرير والتنوير من التفسير [5].

وقد تعرض ابن عاشور في تفسيره لمسائل في الإعجاز العلمي, ونص على هذه التسمية في مواضع عديدة كما في المقدمة العاشرة من تفسيره, وكما في تفسيره لقوله تعالى :"أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا..."الأنبياء 30.

والمقصود بالإعجاز العلمي هنا الحقائق العلمية التي كشف عنها العلم, والشيخ ابن عاشور- كما يقول الدكتور بلقاسم الغالي:" حين يأخذ بهذا اللون من الإعجاز إنما يأخذ به في اعتدال فهو

---

1 التحرير والتنوير، م1، ج1، الدار التونسية، الدار الجماهيرية للنشر، تونس ،ج1'ج2 ,ج3، ص80

2 التحرير والتنوير م1, ج1, ص80

3 القمطر : الجمل القوي السريع , والقمطر والقمطرة ما تصان فيه الكتب

4 التحرير والتنوير م1, ج1, ص 80

5التحرير والتنوير, م1, ج1, ص 8- 9

يخالف الشاطبي الذي يرى أن الشريعة أمية ليس فيها من علوم المتقدمين والمتأخرين شيء, لذلك لا ينبغي تناول آيات القران من وجهة نظر العلوم الحكمية بجميع أنواعها.
وهو يخالف المغالين الذين أسرفوا في تأويل آيات إلى حد التكلف والمجافاة للفظ القران وسياقه, ولم يخرج الألفاظ والتراكيب عند مدلولاتها اللغوية, ولم يحمل النصوص ما لا تحتمل "[1].

التفاسير التي اعتمدها الشيخ مصادر لتفسيره:

إن أهم التفاسير التي اعتمدها مصادر لتفسيره هي كالآتي

1) محمد بن جرير الطبري ، جامع البيان.
2) الزمخشري ،الكشاف .
3) الرازي(محمد بن عمر)(606ه) الموافق 1210م مفاتيح الغيب (التفسير الكبير).
4) البيضاوي :عبد الله بن عمر بن محمد)-(685ه ،1286م) انوار التنزيل واسرار التأويل.
5)الاصفهاني (محمود بن عبد الرحمان بن احمد)(749ه ،1349م) انوار الحقائق الربانية في تفسير الآياتالقرآنية .
6) التفتازاني : (مسعود بن عمر بن عبد الله) (793ه، 1290م) حاشية على الكشاف.
7) محمد بن عرفة : تفسير ابن عرفة (من تقييد تلميذه الابي).
8) ابو السعود: ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم.
9) القرطبي : جامع احكام القران .

[1] شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور- حياته وأثاره- د.بلقاسم الغالي ص 83 – 84

10) القزويني (عمر بن عبد الرحمان بن عمر) (745ه) الكشف : حاشية على الكشاف .
11) ابن عطية : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز .
12) الخفاجي : (احمد بن محمد بن عمر) (1069ه – 1653 م) حاشية على تفسير البيضاوي .
13) الالوسي (محمود بن عبد الله الحسيني) (1270ه – 1854م.) روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني.
14) محمد عبده : تفسير القران.

واهم التفاسير عنده تفسير الكشاف مع ما كتبه عليه الطبري والقزويني والتفتا زاني، والمرر الوجيز لابن عطية ومفاتيح الغيب للرازي، وتفسير البيضاوي وتفسير الالوسي وتفسير ابي السعود وتفسير القرطبي وتفسير ابن عرفة وتفسير الطبري وهذه التفاسير كثيرا ما تتردد في تفسيره .وقد وقف منها شيخنا موقف الناقد الحصيف فالكشاف نقده الشيخ وتتبعه في تقص دقيق وكذلك غيره من التفاسير لا يورد اقتباسا منها إلا ويعقب عليها بالنقد والترجيح والتعديل ويضيف الى ما قاله المفسرون إضافات تمتاز بالجدة والتعمق والنفاذ الى مرامي الكتاب العزيز. [1]

إضافات لابن عاشور في التفسير :

تحليل مفردات القران:

يحلل الشيخ مفردات القران بدقة وتوسع يبلغ أحيانا الى درجة المعاجم اللغوية المعتبرة. ويقف عند التطور التاريخي للمفردة ويدعم ذلك أدلة من الشعر العربي ،ومن القران والسنة ، مما يدل على التمكن من اللغة العربية وحفظ شواهدها وتبره في علومها وتوقفه في الاستدلال على المعنى المراد ،وصحة حفظ الألفاظ على الاستعمال،كاستعمال اللفظ المشترك في احد معنييه أو معانيه، واستعمال اللفظ في حقيقته أو مجازه وفي صريحه أو كنايته ومثال ذلك قوله تعالى " **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ**" [2]

فللسجود معنيان حقيقي وهو وضع الجبهة على الأرض وهو مجازي وهو التعظيم والتقديس وقد استعمل فعل يسجد هنا للمعنيين الحقيقي وهو سجود الناس والملائكة والمجازي كالشمس والقمر والجبال.

[1] شيخ الجامع الأعظم – محمد الطاهر ابن عاشور- (حياته وأثاره) .د. بلقاسم الغالي. دار ابن حزم. بيروت–لبنان- ط1. 1418-1997م- ص 78-79.
[2] الحج: الآية18 .

والشيخ في تحليله لمفردات القران ينقد المفسرين ،وهو مولع خاصة بنقد صاحب الكشاف ،فلفظ الرب يرى فيها الزمخشري أنها مخصوصة باسم الجلالة إلا أن يقيد. وقد رأى الشيخ أن العرب لم تخص لفظ الرب به تعالى لا مطلقا ولا مقيدا لوزنه واشتقاقه الى ان قال :وجمعه إلى أرباب أدل دليل على إطلاقه على متعدد فكيف تصح دعوى تخصيص إطلاقه عندهم بالله تعالى؟ وإما إطلاقه مضافا أو متعلقا بخاص فظاهر وروده بكثرة كقولهم ، رب الدار ورب الدابة ورب الشيء أحق بحمله [1]

وقد ورد الإطلاق في القران على لسان يوسف عليه السلام: " **إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ**"وقوله :" **أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**" وورد النهي في الحديث الشريف على أن يقول احد لسيده ربي وليقل سيدي المراد به نهي كراهة للتأديب ولذلك خص النهي بما إذا كان المضاف إليه ممن يعبد عرفا كأسماء الناس لدفع تهمة الإشراك وقطع دابره[2]

ونقد المبرد كما في تفسير القرطبي عن ابن الانباري إن لفظ الرحمان اسم عبراني نقل الى العربية وان أصل الحاء خاء معجمة قال الشيخ معلقا : " إن هذا الدعاء لا حجة له عليه وان اللفظ عربي بيد أن العربية والعبرية تنتميان الى أصل واحد هو اللغات السامية .

ولعل العربية الأصلية أقدم من العبرية غير أن الذي دفع بالمبرد الى هذا الرأي ما ورد في القران الكريم عن المشركين في قوله عز وجل :" قالوا وما الرحمان" وهكذا يمضي الشيخ في تحليله اللغوي محللا مرجحا تارة ناقدا مصوبا تارة أخرى، لأيمة اللغة وجهابذة الفكر [3].

الآراء حول تفسير ابن عاشور:

وهو يقسم آراء العلماء إلى طائفتين :

الطائفة الأولى: وبتقدمها النظام (أبو إسحاق إبراهيم بن سيار) ترى انه إعجاز القران كان نتيجة الصرفة أي أن الله تعالى صرف الجهود من محاكاته لا إعجاز في ذات القران ولبلاغة عجز البلغاء عن صياغة مثله.

---

1 المرجع نفسه .ص 79-80

2 التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج1، دار التنويه للنشر، ص168

3 المرجع السابق ص.80

الطائفة الثانية : ومن بينها الجاحظ و أيمة أهل السنة ترى أن عجز المتحدين يعود أساسا إلى بلوغ القران الغاية القصوى من البلاغة التي عجزت قدرة البلغاء عن الإتيان بمثله ووجوه الإعجاز يعود إلى ثلاث جهات :

1) **الجهة الأولى**: بلوغه الغاية القصوى مما يمكن أن يبلغه الكلام العربي البليغ من حصول كيفيات في نظمه مفيدة معاني دقيقة ونكتا من أغراض الخاصة من بلغاء العرب وهو ضرب من الإعجاز لا يدانيه شيء من كلام البلغاء من شعرائهم وخطابتهم.

2) **الجهة الثانية:** ما أبدعه القران من أفانين التصرف في نظم الكلام مما لم يكن معهودا في أساليب العرب ولكنه غير خارج عما تسمح به اللغة .

3) **الجهة الثالثة :** ما أودع فيه من المعاني الحكيمة والإشارات إلى الحقائق العقلية والعلمية مما لم تبلغ إليه عقول البشر في عصر نزول القران وفي عصور بعده متفاوتة, وهذه الجهة أغفلها المتكلمون في إعجاز القران من علمائنا مثل : أبي بكر الياقلاني , والقاضي عيان .[1]

ويبرز في تفسيره مبتكرات القران التي تميز بها نظمه عن بقية كلام العرب كمجيئه على أسلوب مخالف للشعر وجاء على أسلوب التقسيم والتسوير .وللقران عادات ينبغي الإلمام بها، أكد الشيخ على وجوب معرفة استعمالاتها كما قال ابن عباس رضي الله عنه " أن كل كاس في القران المرادبها الخمر" .

وقال ابن عينيه أن المطر في القران المراد بها العذاب وقال الجاحظ في البيان والتبيين وفي القران معان لا تكاد تفترق مثل الصلاة والزكاة ,والجوع والجوف, والجنة والنار, والرغبة والرهبة ,والمهاجرين والأنصار والجن والإنس [2] وبعد أن اورد الشيخ كلام المفسرين قبله مما يدل على اطلاع واسع قال : " قلت والنفع والضر والسماء والأرض" [3].

---

1 التحرير والتنوير. ج1 /106

2 الجاحظ, البيان والتبيين (1 / 150

3 التحرير والتنوير (1 / 106

وهذه إضافات من إضافات الشيخ الكثيرة, مما يدل على انه ليس ناقلا ولا جامعا لآراء المفسرين قبله بل هو يضيف ويبتكر ويصوب وينقد وينبه على ما فات المفسرين من الآراء، والملاحظ أن هذه الإضافات التي تميز الشيخ ابن عاشور تبرز إلى حد مدى ثقافة مشائخ الزيتونة وإلمامهم بتيارات الفكر الإسلامي.

الفصل الأول
التفسير الحجاجي

المبحث الأول: تعريف الحجاج:

لغة: يشير ابن منظور في معجمه لسان العرب إلى الحجاج بقوله :" الحجة هي البرهان وقيل الحجة هي ما دوافع به الخصم .وقال الأزهري الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة وحاجة محاجة وحجاجا نازعه الحجة , وهو رجل محاج أي جدل والتحاج التخاصم وجمع الحجة : حجج وحجاج , وحجة بحجه حجا غلبه حجته وفي الحديث : فحج ادم موسى أي غلبه بالحجة[1]

نجد أن ابن منظور يقرن الحجة بالبرهان حينا وبالخصومة حينا آخر، فهو يفترض وجود تخاصم بين متخاصمين فيعمد كل منهما إلى حجة ودليل حتى يحصل له الغلبة والفوز كما قرنها أيضا بالجدل.

غير أن هناك تمييزا دقيقا بين هذه الألفاظ (الحجة . التحاج.الحجاج) وقد أشار الطاهر ابن عاشور (1973/ 1393ه) في تفسيره (التحرير والتنوير) الى

معنى حاج وجادل ففي تفسير قوله تعالى **" الم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه (2)1"**

قال : معنى حاج خاصم وهو فعل جاد على زنة المفاعلة التي اشتق منها ومن العجب أن الحجة في كلام العرب البرهان المصدق للدعوى مع أن حاج لا يستعمل غالبا إلا في معنى المخاصمة وان الأغلب انه يفيد الخصام بباطل عن حجج من اجل تحقيق درجة أعلى من الإقناع "[2]. **(3)**

فهو مرتبط بالشك مجاله الاحتمال وليس اليقين ولهذا يسعى المتكلم الى إقناع الآخر بالحجج وكلما زادت الحجج زادت إلى إقناع الخصم بمشروعية الموقف وصلاحيته [3].ومن هذا التحديد اللغوي للحجاج يمكن استخلاص النتائج التالية :

. الحجاج يسعى إلى تأسيس موقف ما فهو يتوجه الى متلق قصد اخذ قبوله ومواقفه .

. الحجاج يرتكز على الحجج التي يجب أن تقدم بكثرة كما يجب أن يحسن اختيارهما وترتيبهما حتى نترك اثر في المتقي.

. الحجاج يهدف إلى إقناع المتلقي وجعل عقله ينخرط في الأطروحة او الدعوى.

. الحجاج مجاله الاحتمال وليس مجال الحقائق البديهية المطلقة.

. الحجاج ليس جدلا بل أوسع من ذلك.

اصطلاحا : يعد الحجاج مفهوما عائما ويتميز بالانتسابية لهذا يصعب تحديده تحديدا دقيقا , فهو لم يبق ذلك المصطلح المحصور في استعمالات خطابية ظرفية بل صار بعدا ملازما لكل خطاب على وجه الإطلاق والسبب في ذلك ان كل خطاب حال في اللغة تمنحه هذه الأخيرة العناصر الأولية والقاعدية لكل حجاج أي عناصر الاستدلالية والتدليل.[4]

كما نجد تباينا واضحا في تعريفاته بين العلماء وذلك راجع لزاوية النظر ونوعيه الخطاب (قانوني. سياسي. أدبي.علمي ...) فكل واحد قدم تعريفا حسب منظورها

---

[1]سورة البقرة ، الآية 258

[2] الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، الدار التونسية ، الدار الجماهيرية للنشر ، تونس ،ج3، ص 31،32

[3]هشام فروم ، تجليات الحجاج في الخطاب النووي ، دراسة وسائل الاقناع الأربعون النبوية ، أنموذجا رسالة ماجستير ، إشراف لخضر بلخير ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة 2009/2008 ص 49

[4]المرجع السابق ص 49

المعرفي ومرجعيته الفكرية وهذا التعدد والاختلاف في دلالات الحجاج يعود إلى عدة عوامل[1]:

. تعدد مظاهر الحجاج وتنوعها (الحجاج الصريح . الحجاج الضمني)

. تعدد استعمالات الحجاج وتباين مرجعياته : الخطابة . الخطاب . القضاء . الفلسفة . المنطق. التعليم....

. خضوع الحجاج في دلالته لما يميز ألفاظ اللغة الطبيعية من ليونة تداولية وكذلك من تأويلات متجددة .

. للحجاج أبعاد الخطاب الإنساني المتاح بالغة المكتوبة والمنطوقة .

وفي خصم هذا التعدد الدلالي للحجاج واستعمالاته لا يسعنا إلا أن نحاول حصر هذه التعريفات وذلك باختيار المقاربات التي ركزت على الحجاج من حيث هو وضيفة خطابية والتي تتحدد في مجالاته الخطابية.

تعريف التفسير

أ. **لغة:**

"التفسير في اللغة بمعنى الإظهار والكشف، وأصله في اللغة من التفسرة وهي القليل من الماء الذي ينظر فيه الأطباء. وقيل: هو مقلوب من (سفر) ومعناه أيضاً الكشف؛ يقال: سفرت المرأة سفوراً إذا ألقت خمارها عن وجهها، وهي سافرة، وبني على التفعيل؛ لأنه للتكثير، وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً﴾ أي تفصيلا." [2]. وفي لسان العرب: الفسْر: البيان، فَسر الشيء يفسره، بالكسر وبالضم فسراً وفسره أي أبانه، والتفسير مثله. والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل.[3] .

والسفر: بياض النهار، وسفر الصبح وأسفر: أضاء.[4]

قال الراغب: "الفسر والسفر يتقارب معناهما كتقارب لفظيهما، لكن جعل الفسر لإظهار المعنى المعقول، وجُعل السفر لإبراز الأعيان للأبصار." [5]

---

[1] حبيب أعراب ،الحجاج والاستدلال الحجازي ، عناصر استقصاد نظري ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته ، دراسات نظرية وتطبيقية محكمة في الخطابة الجديدة ، مجموعة من المؤلفين ، إشراف : حافظ اسماعيل علوي ، دار الروافد الثقافية ، لبنان ، منشورات ابن النديم ، الجزائر ط1 ،2013،ج2، ص159-160

2 انظر: البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، 2/ 147، الطبعة الثانية، دار المعرفة، بيروت- لبنان.

3 لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، مادة (فسر)، 5/ 55، دار صادر، بيروت- لبنان، 1388هـ-1968م. بتصرف

4 انظر: لسان العرب لابن منظور، مادة (سفر)، 4/ 369.

5 انظر: مقدمة تفسير الراغب الأصفهاني، لأبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد عبد العزيز بسيوني، الطبعة الأولى، كلية الآداب، جامعة طنطا، 1420هـ- 1999م. بتصرف ص: 63،

ب. **اصطلاحاً:**

"التفسير في الأصل الكشف والإظهار، وفي الشرع: توضيح معنى الآية وشأنها وقصتها والسبب الذي نزلت فيه بلفظ يدل عليه دلالة ظاهرة." [1]

وقد عرف التفسير "علم نزول الآية وسورتها وأقاصيصها والإشارات النازلة فيها، ثم ترتيب مكيها ومدنيها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها." [2]

و يعرف الشيخ ابن عاشور لتفسير بأنه : "اسم لتفسير بأنه: "اسم المعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن و ما يستفاد منها باختصار أو توسع" [3]

أنواع الحجج :

بثراء الحجاج واختلاف أنواعه وأساليبه فان لكل نوع من هذه الأنواع اللغوي المحادثي ... الخ ,حجج مختلفة كذلك بحسب الأعراض الأحوال وقد ذكر بعض الدارسين أنواعا من الحجج نوردها كالأتي :

1/ **حجة التبرير :** وتستخدم في العادة الأداة " بما أن "

2/ **حجة الاتجاه** : وغرضها التحذير من انتشار شيء ما واخذ الحيطة منه.

3/ **الحجة التواجدية :** تبنى على علاقة الشخص بعمله ويمكن ان نمثل بها بقوله صلى الله عليه وسلم " من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه" نقول بان المتعلم بوصفه شخصا في جوهره ليس فضوليا فعمل على ترك ما لا يعنيه هذا من حسن إيمانه وإسلامه.

4/ **الحجة الرمزية** : للرمز قوة تأثيرية في اعتقاد من يقرون وجود علاقة بين الرامز والمرموز إليه كدلالة "العلم" على نسبته إلى وطن معين والميزان للعدالة[1]

1 كتاب التعريفات، للشريف علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1416هـ- 1335م. ص: 63،
2 البرهان في علوم القرآن للزركشي، 148/2.
3 تفسير التحرير و التنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، 10/1

5/ **حجة المثل :** الغاية من وجودها هو تأسيس القاعدة والبرهنة عليها أي حجاج بالصورة البلاغية وقياس خطابي.

6/ **حجة الاستشهاد** : والغاية منها هي توضيح القاعدة وتكثيف حضور الأفكار في الذهن ,والقران الكريم في هذا الباب هو الذي يقدم لنا أدلة حجاجية [2].

وهناك كتاب بعنوان الألفاظ الخطابية إلى أن الكلمات أو العبارات مثل " أجد , أن , لكن ,حتما , زد على ذلك ...الخ وظيفتها الأولية هي خدمة توجيه ألحجاجي للملفوظات , وهذا ما أشار إليه ديكور[3] (2).
كما نجد حجج أخرى, وما ذكرناه على سبيل المثال لا للحصر منها ما ذكرته الأستاذة" سامية الدريدي " كالحجة السببية: أن شيء محتمل يكون سبب لحدوث شيئا أخر او طرف هو ذريعة لدخول طرف ثاني او مقدمة سبب لنتيجة.
7/ **حجة المقارنة :** أشارت سامية الدر يدي إلى أنها تنتمي إلى حجج شبه منطقية وفي الغالب تقوم على الاحتجاج لشيء ما أو لشخص أو لقيمة أو لقيمة أو لرأي .. باعتماد وانتقاء الأفضلية على طرف ثاني من جنسه أو نوعه . [4] (3)

قسم العلماء التفسير إلى عدة تقسيمات
التقسيم الأول: وهو تقسيم من حيث اللفظ وهو بدوره ينقسم إلى قسمين
قسم يقف عند بيان اللفظ وإعرابه وتصريفه وما يحويه من كتب بلاغية وغير ذلك... ومن أمثلة هذا النوع حاشية الجمل , والجلالين والنسفى .... ونحوها "[5] (1)
والقسم الثاني "بيان الدلالات الخاصة والمحتملة ويوازن ويرجح ما يقوى دليله منها ويكشف عن أسرار الهداية القرآنية والتوجيهات الربانية والأحكام الشرعية"[6] (2)
التقسيم الثاني : باعتبار المفسر "ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما- أن التفسير أربعة: "حلال وحرام لا يعذر أحد بجمالته وتفسير تفسره العرب بألسنتها، وتفسير تفسره العلماء وتفسير لا يعلمه إلا الله"[7]**(3)**

[1] سامية الدريدي , دراسات في الحجاج , عالم الكتب الحديث , تونس 2009م, ص 122
3- صابر الحباشة , التداولية والحجاج ص 49.

[3] صابر الحباشة , التداولية والحجاج ص 49.
[4] سامية الدريدي , دراسات في الحجاج ص 123.
[5] 1- محمد نبيل غنايم: دراسات في التفسير. دار الهداية للطباعة، مصر، دط، 1995 ص 17
[6] 2- المرجع نفسه ص17
[7] محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن,11/2

من تقسيم ابن عباس نجد أن التقسيم باعتبار المفسر ينقسم إلى أربع أقسام وهي:
ا- قسم يعرف به الحلال والحرام ولا يعذر احد بجماليته :" معرفة معناه من النصوص المضمنة شرائع الأحكام ودلائل التوحيد، وكل لفظ أفاد معنى واحدا جليا "[1]**(4)**
ب- تفسير تفسره العرب بألسنتها: "فهو الذي يرجع فيه إلى لسانهم، وذلك بشأن اللغة والإعراب،فأما اللغة فعلى المفسر معرفة معانيها ومسمياتها .....ولا يلزم ذلك القارئ[2]"**(5).**
ج- تفسير تفسره العلماء:" ما يرجع إلى اجتهاد العلماء وهو الذي يغلب عليه إطلاق التأويل، وهو صرف اللفظ إلى ما يؤول إليه...
د- مالا يعلمه إلا الله تعالى : فهو ما يجرى مجرى الغيوب نحو الآي المتضمنة قيام الساعة، ونزول الغيث، وما في الأرحام، وتفسير الروح،والحروف المقطعة ."[3]**(6)**
التقسيم الثالث : هو تقسيم باعتبار المفسر، وهو النص المراد تفسيره[4] **(1)**
وهو مقسم إلى ثلاث أقسام ذكرها الزرقاني في كتابه مناهل العرفان في علوم القرآن

"....تفسير بالرواية ويسمى تفسير بالمأثور، وتفسير بالدراية ويسمى التفسير بالرأي، وتفسير بالإشارة ويسمى التفسير الاشاري"[5]
مثال تفسير القران بالقران : ما جاء في تفسير الصراط في سورة الفاتحة "....فقال ابن عباس وجمهور المفسرين: إنه آراء النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وانتزعوا ذلك من قوله تعالى :" ...ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا واشد تثبيتا(66)....وحسن أولئك رفيقا"(النساء 66-67-68-69)
فالآية تقتفى أن هؤلاء على صراط مستقيم وهو المطلوب في آية الحمد[6] **(3): مثال تفسير القران بما جاء في السنة: "....**أنه فسر صلى الله عليه وسلم الظلم بالشرك في قوله تعالى " والذين امنوا ولم يلبسوا ....وهم مهتدون " (الأنعام 82) وأيد تفسيره هذا بقوله تعالى :"وان الشرك لظلم عظيم " (لقمان13) [7] **(4)**
أما بيان القرآن بما صح وروده عن الصحابة فيؤخذ عن الصحابة الذين استهدوا الوحي:" ..... ووجهة نظر الحاكم ومن وافقه، أن الصحابة رضوان الله عليهم قد شاهدو الوحي والتنزيل وعرفوا وعاينوا من أسباب النزول ما يكشف لُم النقاب عن معاني الكتاب"[8] **(5)**
إذن فتفسير القرآن عن الصحابة يستوجب أن يكونوا حافرين أثناء نزول الوحي.

---

[1] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن،165/2
[2] المصدر نفسه ج2,ص 165
[3] المصدر نفسه, ج2, ص166
[4] محمد نبيل غنايم:دراسات في التفسير ص19
[5] المصدر نفسه, ص12
[6] ابن عطية الأندلسي: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،تقدم مجد مكي،دار بن حزم,ص45
[7] 4) محمد عبد العظيم الزرقاني:مناهل العرفان في علوم القرآن, ص13
[8] 5) المصدر نفسه, ص.13

ب- التفسير بالدراية: "ويسمى التفسير بالرأي أو الاجتهاد العقلي ويقوم ذلك التفسير على الاجتهاد والاستنباط "[1] **(1)**

ج- التفسير الاشاري :" ويقوم على أفكار بعيدة عن المعنى الأصلي للكلمة أو النص والاتجاه إلى معان أخرى لا تتطرق إلى الذهن وإنما يؤلفها ويبتدعها أصحاب المذاهب الفلسفية أو الصوفية والشيعية وغيرها"[2] **(2)**

خصائص النص الحجاجي :

ينفرد النص الحجاجي عن غيره من النصوص بعدة خصائص ومميزات هي :

1/ **القصد المعلن** : وهو إحداث اثر في المتلقي أو إقناعه بفكرة معينة.

2/ **التناغم** : وهو أن يكون المنطق الحجاجي مبني على أسس متسلسلة ومنتظمة وهو ما يؤكده (باتريك شارودو) بقوله : " بانتظام المنطق الحجاجي حيث يقوم النص على منطق معين في كل المراحل التي يمر بها ويوظف على نحو دقيق من التسلسل والإحكام[3] (1).

3/ **الاستدلال :** وهو السياق العقلي الذي يسير وفقه الخطاب الحجاجي, لان النص الحجاجي في ابسط صوره في ترتيب عقلي للعناصر اللغوية المكونة له ترتيبا يستجيب لنية الإقناع[4] **(2)**.

4/ **البرهنة :** وهي مكمن الحجج والأدلة وتعتبر أسلوبا من أساليب المنطق الحجاجي , تتيح تنظيمه وفق ما يسمى بالعقل الاستدلالي[5] **(3)**.

ومما تقدم لا يمكن أن نقول أن النص ذو سمة حجاجية إلا إذا توفرت فيه هذه الخصائص التي تكمل بعضها البعض لتنتج لنا عملية المحاججة.

آليات تحليل النص الحجاجي :

يعتبر الحجاج ظاهرة اجتماعية, ذو وجود فعلي, لأنه ليس ممارسة تأملية, وإنما هو عملية تسعى إلى خلق تأثير في الآخرين, فهو يعتمد على التبرير والتعليل كوسيلة له, ولا يتم ذلك إلا بواسطة اللغة[6].**(1)**

وعلى هذا الأساس فان الحجاج يعتمد على آليات حجاجية متنوعة لغوية وغير لغوية, لأنه كلام يشكل من نسيج من الأدلة يمكن ضبطها فيما يعرف عند العرب بالحجاج

---

[1] محمد نبيل غنايم، دراسات في التفسير،ص19

[2] بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن،ج2 ص 170

[3] باتريك شارودو (Patrick charaudeau , الحجاج بين النظرية والأسلوب, تر,احمد الودرني, دار الكتاب الجديد المتحدة ,بيروت ,لبنان,ط1, 2009, ص36.

[4] باتريك شارودو , الحجاج بين النظرية والأسلوب , ص 36.

[5] المرجع نفسه ص 36.

[6] حافظ إسماعيل علوي, الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة, ج4, ص 300.

بمختلف أنواعه العقلية والنصية[1] **(2),** باعتبار النوع الأول يعتمد على آليات غير لغوية, التي تعتمد بدورها على آليات شبه منطقية, ويجسدها السلم الحجاجي بأدواته والياته اللغوية [2] **(3)** كما أنها تعتمد بالدرجة الأولى على القياس المنطقي باعتباره بنية أساسية في الحجاج, أما النوع الثاني فيعتمد على آليات لغوية, والمخطط التالي يوضح بصورة واضحة ومختصرة هذه الآليات :

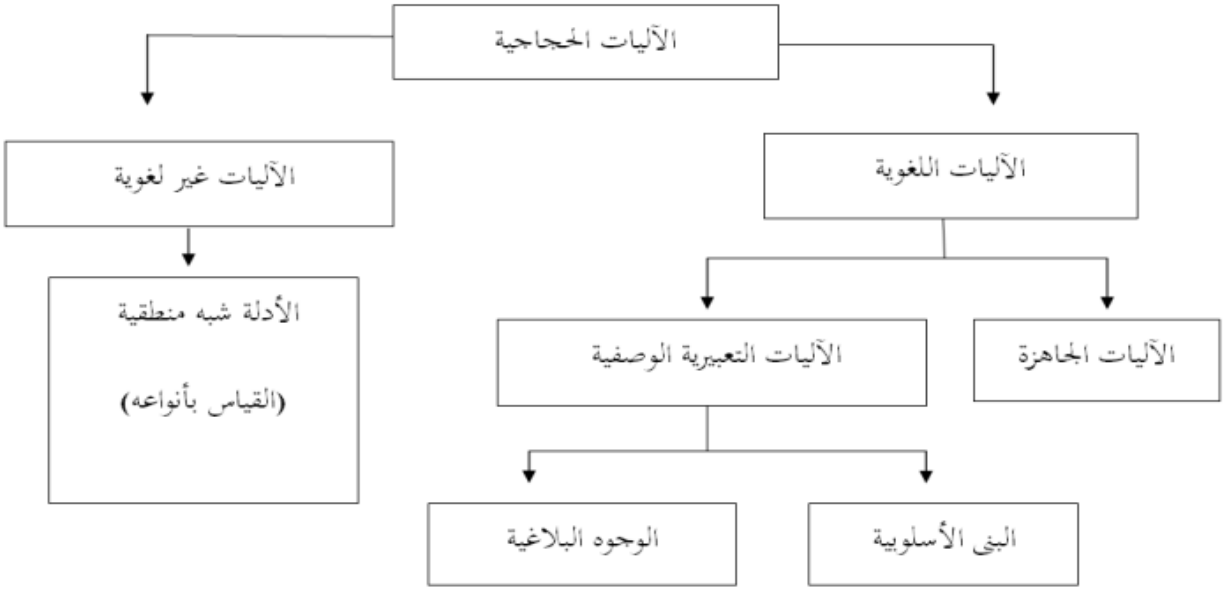

* **انها نسبيه :** فلكل حجة قوة حجاجية معينة, فقد يكون المتكلم حجة ما لصالح نتيجة معينة, ويقدم خصمه حجة مضادة أقوى بكثير منها,و بعبارة أخرى هناك الحجج القوية او الحجج الضعيفة.

* **أنها قابلة للإبطال** : باعتبار أن الحجاج اللغوي عموما نسبي ومرن تدريجي وسياق بخلاف البرهان المنطقي والرياضي الذي هو مطلق حتمي .

[1] مختار الفجاري, الفكر العربي الإسلامي من تأويله المعنى إلى تأويله الفهم, عالم الكتب الحديث, عمان, ط1, 2009, ص81

[2] ينظر: حافظ إسماعيل علوي, ج1, ص79.

[3] حافظ إسماعيل علوي : الحجاج مفهومه ومجالاته, دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة, ج1 ص 59.

الفصل الثاني
فصل تطبيقي

شرح آلية التطبيق :

اعتمدنا في هذا الجزء من البحث على المزاوجة بين المنهج الاستقرائي والمنهج الوصفي المشفوع بالتحليل و التفسير والاستنتاج وهذا ما فرضته طبيعة الموضوع المتناول (وصف الأساليب الحجاجية كما هي في المتن) مع التركيز على نصوص موضوع البحث والمتضمنة لأسلوب الحجاج الذي وظفه الكاتب

وتعد هذه النصوص الشواهد التطبيقية لما ورد في الجانب النظري من هذا البحث .كما اعتمدنا على بعض آليات الشرح والتعريف لبعض الأساليب .

وقد احتجنا إلى الكثير من التحقيق المكثف والعميق و التركيز على أهم الأساليب وابرز ما ورد في النصوص لان الإلمام بجميع الأساليب والمعلومات من الصعوبة منا خاصة في الجانب الإجرائي من البحث.

بعد قراءتنا المركزة والممحصة للنصوص (المقدمات العشر) عمدنا إلى تحديد مواطن الحجاج فيها ثم نثبت وظيفة كل أسلوب داخل السياق وعلاقته بالحجاج بشيء من التفصيل وذلك في حدود علمنا .

وإجمالا فان مقدمات كتاب "التحرير والتنوير" من اللطائف والإشارات الكلامية عجائب كثيرة ونفيسة ليس في مقدورنا استقصاؤها جميعا ولا الإحاطة بها .

وعموما فان في النصوص جملة من الأغراض المتعلقة بالمتلقي أساسا فكان التأثير في عقل المتلقي وعواطفه جليا وواضحا.

المبحث الأول: مختارات من مقدمة ابن عاشور

المقدمة الأولى :
في التفسير والتأويل وكون التفسير علما

التفسير من فسر مضاعف فسر مصدره الفسْر، كوزنه مصدرٍ، والتضعيف ليس للتعدية فهو للتكثير، والفسْرُ الإبانة والكشف.

واصطلاحا: اسم للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن وما يستفاد منها باختصار أو توسع.

وموضوع التفسير: ألفاظ القرآن من حيث البحث عن معانيه، وما يستنبط منه.

ويراد به نفس الإدراك نحو قول أهل المنطق , العلم أما تصور وأما تصديق وإما أن يراد به الملكة المسماة بالعقل وإما أن يراد به التصديق الجازم وهو مقابل الجهل

,وإما ان المسائل المعلومات وهي مطلوبات خبرية يُبرهن عليها في ذلك العلم، وهي قضايا كلية. ومعلوم أن مباحث هذا العلم ليست بقضايا يبرهن عليها فما هي بكلية، بل هي تصورات جزئية غالبا، لأنه تفسير ألفاظ أو استنباط معانٍ، والأول من التعريف اللفظي، والثاني من دلالة الالتزام، وليس ذلك من القضية. فلذلك فإن عدَّ التفسير علما بناء على هذا الاصطلاح مبني على التسامح في الألفاظ. والمسوّغ لعدِّ التفسير علما أمور:

الأول: لما كانت الآيات منشأ لقواعد كلية، صار البحث فيها علما.

الثاني: اعتبار الشرط المذكور إنما هو في العلوم العقلية، أما غيرها من الشرعية والأدبية فلا يشترط، بل الكافي في ذلك إفادتها كمالا علميا لمزاولها، والتفسير يفيد أعلى الكمال.

الثالث: ذكر معنى الألفاظ الجزئية يتفرع عنه معان عديدة، فنزلها ذلك منزلة الكليات، وقام الاستدلال على إفادتها تلك المعاني بالشعر والقواعد ونحو ذلك مقام البراهين عليها. فكان تعلما.

الرابع: لما كان تفسير القرآن لا يخلو من قواعد كلية في أثنائه، كقواعد النسخ من آية (ما ننسخ..) وقواعد التأويل من آية (وما يعلم تأويله(..، فسمي مجموع ذلك علما تغليباً.

الخامس: اشتمال التفسير على كليات الشريعة يجعله علما، وعدم وجود ذلك في بعض التفاسير لا يعارضه.

السادس: لما كان اشتغال علماء الإسلام بالتفسير هو المولد لسائر العلوم الشرعية الكلية، كأصول الفقه والكلام والفقه ونحوها، وكان يفيد من اشتغل به ملكات كلية يدرك بها أساليب القرآن ونظمه، كان علما على سبيل القطع.

والتفسير أول العلوم الإسلامية ظهورا إذ ظهر في زمن الصحابة ومن أكثر الصحابة تفسيرا علي وابن عباس رضي الله عنهما، ثم أخذ العلماء بالتوسع فيه والتدوين، فمنهم من سلك مسلك نقل آثار السلف، ومنهم اعتمد تطبيق القواعد المعتمدة في التفسير، وهو المسمى بالتفسير بالرأي، مصيبا كان أو مخطئا .ولا يخلو واحد من الطريقين من الاعتماد على النظر كما لا يخفى.

المقدمة الثانية

استمداد علم التفسير

ما يستمد منه العلم، هو ما يتوقف عليه تقوُّمُه، فأما ما يورد من المسائل عند الإفاضة في البيان، فليس منه.

واستمداد علم التفسير من المجموع الملتئم من: علم العربية، وعلم الآثار، وأخبار العرب وأصول الفقه. وقيل: وعلم الكلام وعلم القراءات.

أما العربية: المراد منها معرفة مقاصد العرب من كلامهم، سواء حصل ذلك بالسجية أو بالتعلم والتلقي. وعلوم العربية هي: علم متن اللغة، والتصريف، والنحو، والمعاني والبيان، وللأخيرين مزيد اختصاص بالتفسير لكونهما وسيلة لإظهار معاني القرآن وخصائص بلاغته، ولذلك سميا: علم دلائل الإعجاز .ولما كانت أوضاع اللغة وضعية، فلا بأس من أن يقلد فيها الدخيل صاحبها في بعض فتاويه إلى أن يتكامل له على مهل موجبات ذلك الذوق. ولذلك فلا غنى في بعض المواضع من الاستشهاد على المراد في الآية بكلام العرب شعرا أو نثرا، لتكميل ما عند المشتغل بالتفسير أو لإقناع السامع.

وأما الآثار: فالمعنيُّ بها ما نقل عن النبي عليه الصلاة والسلام من بيان المراد من بعض القرآن في مواضع الإشكال والإجمال، ويضاف إلى ذلك إجماع الأمة على تفسير معنى، إذ لا يكون إلا عن مستند.

وأما القراءات: فتفيد في الاستدلال بالقراءة على تفسير غيرها، ترجيحا لأحد المعاني، كالشاهد من كلام العرب، فإنها إما مشهور فهي حجة لغوية، أو شاذة فالاحتجاج بها أنه ما قرأ بها إلا لاستنادها إلى استعمال عربي صحيح، إذ لا يكون القارئ معتدا به إلا إذا عرفت سلامة عربيته.

وأما أخبار العرب: فمن جملة أدبهم، وخصت بالذكر بيانا لأهميتها وأنها ليست لغواً وتفيد في معرفة بعض معاني الآيات.

وأما أصول الفقه: فجملة كبيرة من مباحثه مادة للتفسير، كمعاني الأمر والنهي ودلالات الألفاظ ونحوها. بل هو يمشي في جنب علمي البيان والمعاني في تفسير القرآن. فضلا عن أن علم الأصول يضبط قواعد الاستنباط ويفصح عنها فهو آلة مهمة للمفسر.

وأما علم الكلام: قال ابن عاشور: ليس من مبادئ التفسير، بل يحتاج إليه في التوسع في إقامة الأدلة على استحالة بعض المعاني. وقد يقال: الحق أنه من مبادئه، لأن تفسير آيات التوحيد كالأسماء والصفات وما يتوهم منها بناؤها على التحسين والتقبيح العقليين، ونحو ذلك مما يجب لله تعالى ويستحيل عليه ويجوز، يتوقف دركه على علم الكلام. وهو مفيد في التفسير، بنفي بعض ما يتوهم من المعاني الباطلة.

وأما علم الفقه: قال ابن عاشور: فهو ليس مادة التفسير.

وقد يقال: إنه كعلم الكلام.
ولا يعد من استمداد علم التفسير ما يروى من الآثار عن النبي عليه الصلاة والسلام وعن الصحابة في تفسير الآيات، فإن ذلك من التفسير لا من مدده.
واعتماد علم التفسير على بعض العلوم الإسلامية لا ينافي كونه رأسا للعلوم الإسلامية لاختلاف الجهات. فهو أصل لها على سبيل الإجمال، وهي له على سبيل التفصيل في بعض الآيات.

المقدمة الثالثة

في صحة التفسير بالرأي ومعناه

لم تتسع التفاسير وتتفنن مستنبطات معاني القرآن وتتعدد جهاته في الفقه والأحكام التشريعية والتوحيد ومقاصد السور والقواعد الكلية، إلا بما رزقه الذين أوتوا العلم من فهم في كتاب الله.
شرط التفسير الصحيح كما قال الطيبي في حاشيته على الكشاف: أن يكون مطابقا للفظ من حيث الاستعمال، سليما من التكلف عريا عن التعسف.
ولو كان التفسير مقصورا على معاني مفردات القرآن، لكان نزرا.
وليس كل ما ورد عن الصحابة والتابعين في تفسير القرآن منقولا عن النبي عليه الصلاة والسلام، لأنه لم يثبت عنه عليه السلام إلا تفسير آيات قليلة، ولاختلافهم في وجوه التفسير. فأكثر ما ورد عنهم استنباط برأيهم وعلمهم.
وأما ما ورد مما ينافي ظاهره التفسير بالرأي، من نحو ما رواه الترمذي عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار"، وفي رواية "بغير علم"، وما رواه أبو داود والترمذي والنسائي أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ".

فالجواب عنه من وجوه:

الأول: المراد بالرأي القول عن مجرد الخاطر دون استناد إلى نظر في الوسائل وآليات التفسير ومقاصد الشريعة وتصاريفها ومعرفة الناسخ والمنسوخ ونحو ذلك.

الثاني: أن لا يتدبر القرآن حق تدبره فيفسره بما يخطر له من بادئ الرأي دون إحاطة بجوانب الآية ومواد التفسير مقتصرا على بعض الأدلة دون بعض.

الثالث: أن يجر الآية إلى مذهبه أو نزعته التي ينزع إليها، ويصرفها عن المراد منها بحسب ظواهر الأدلة والقوانين التفسيرية.

الرابع: أن يزعم أن ما ظهر له لا يمكن أن يفهم غيره من الآية، وفي هذا تحجير بلا دليل.

الخامس: أن يحمل ذلك التحذير الوارد في الأحاديث والآثار على وجوب الحرص والتدبر، وعدم التسرع في التأويل.

فالجمود على ما يسمى بالمأثور مبناه عدم ضبط هذه المعاني، فضلا عن أن من قال بذلك لم يضبط مراده بالمأثور وعمن يؤثر. فإن أرادوا الاقتصار على مجرد ما ورد عن النبي وصح سنده، فقد ضيقوا واسعا، وناقضوا أنفسهم فيما دونوه في التفاسير، وغلَّطوا سلفهم فيما أولوه.

وإن أضافوا إلى لمأثور أقوال الصحابة وأصحابهم وتلاميذهم، فقد اضطروا إذن إلى إدراج ما قاله هؤلاء برأيهم، فلا يمكنهم أن ينكروا أنهم اجتهدوا في التفسير برأيهم بحسب علمهم.

وإذ أجزنا التفسير بالرأي بضوابطه، فإنا لا نجيز صرف ظواهر الألفاظ إلى ما يسمى بالباطن، كغلاة الشيعة والإسماعيلية. وتأثر كثير منهم بقواعد الفلسفة الإشراقية ومذهب التناسخ والحلولية، ومن طقوس اليهود والنصارى والأديان القديمة. فلا ضبط للباطن، وسيؤدي ذلك إلى التعارض والتناقض في المعاني التي يقال بها، وتنسب إلى القرآن، ولا خفاء لما في ذلك من مفاسد.

أما إشارات الصوفية في بعض آيات القرآن فلا تجري مجرى التفسير، بل يعنون أن ما قالوا يصلح للتمثيل بها في الغرض المتكلم فيه. فلذلك سمَّوها إشارات، فهي من باب التنبيهات الملائمة لظاهر اللفظ أو سياقه. وإما أن يكون تمثيلا لحال شبيه بما تدل عليه الآية، أو من باب التفاؤل بذكر معنى للكلمة يسبق من صورتها هو غير معناها المراد، كم قال في قوله تعالى(من ذا الذي يشفع): أي من ذلَّ ذي، يريد النفسَ. وقد تكون من باب العبر والمواعظ.

والاحتياط في نحو هذا واجب، ولا يصح أخذ قول القائل في التفسير إلا إذا توافرت فيه شروط الضلاعة في العلوم التي سبق ذكرها. وقد تهافت الناس في تفسير القرآن، فمنهم من يضع الآية ثم يركض في أساليب المقالات تاركا معنى الآية جانبا، جالبا من معاني الدعوة والموعظة ما كان جالبا. فمن يركب متن عمياء فحق على أساطين العلم تقويم اعوجاجه، وتمييز حلوه من أجاجه[1] .

المقدمة الرابعة
فيما يحق أن يكون غرض المفسِّر

مراد الله من كتابه هو بيان تصاريف ما يرجع إلى حفظ مقاصد الدين، فالمقصد الأعلى منه صلاح
أولا: الأحوال الفردية؛ بصلاح الاعتقاد وتهذيب النفس وتزكيتها. الخ
ثانيا: الأحوال الجماعية؛ وهو يحصل أولا بالصلاح الفردي، ثم ضبط تصرف الناس بعضهم مع بعض على وجه يعصمهم من مزاحمة الشهوات ومواثبة القوى النفسانية.
ثالثا: الأحوال العمرانية؛ ويكون بحفظ نظام العالم الإسلامي، وضبط تصرف الجماعات والأقاليم بعضهم مع بعض على وجه يحفظ مصالح الجميع، ورعي المصلحة الإسلامية.
فغرض المفسر بيان ما يصل إليه من مراد الله تعالى بأتمِّ بيان مع ما يتوقف عليه الفهم أو يخدم المعنى تفصيلا وتفريعا مع إقامة الحجة.

وطرائق المفسرين ثلاث:

[1] ينظر، تفسير التحرير و التنوير، الطاهر بن عاشور، ج1، م1، ص 28- 37

الأولى: الاقتصار على الظاهر من المعنى الأصلي للتركيب. وهو الأصل.

الثانية: استنباط معان من وراء الظاهر تقتضيها اللغة ولا تتجافى مع مقصد القرآن، باستعمال علوم الآلات.

الثالثة: جلب المسائل وبسطها لمناسبة بينها وبين المعنى، لزيادة الفهم أو للتوفيق بين المعنى القرآني وبين بعض العلوم مما له تعلق، أو لرد المطاعن. الخ .وبناء على ذلك يتوسع بعض العلماء بذكر مسائل علمية تجريبية أو فلكية أو نحو ذلك. ويشترط أن يقصد فيه الخلاصة وذكر ما يليق بالتفسير ويخدم المعنى.

وشرط التفسير ألا يخرج عما يصلح له اللفظ عربية، ولا يبعد عن الظاهر إلا بدليل، ولا يكون تكلفا بينا ولا خروجا عن المعنى الأصلي حتى لا يصير كالتفاسير الباطنية.

علاقة العلوم بالقرآن على أربع مراتب:

الأولى: علوم تضمنها القرآن كأخبار الأنبياء والأمم، وتهذيب الأخلاق والفقه والتشريع والاعتقاد والأصول والعربية والبلاغة.

الثانية: علوم تزيد المفسر علما كالحكمة والهيأة وخواص المخلوقات.

الثالثة: علوم أشار إليها أو جاءت مؤيدة له كعلم طبقات الأرض والطب والمنطق.

الرابعة: علوم لا علاقة لها به إما لبطلانها كالزجر والعيافة والميثولوجيا، وإما لأنها لا تعين على خدمته كعلم العروض والقوافي.

المقدمة الخامسة :
في اسباب النزول

رواتها تعيين مراد من تخصيص عام او تقييد او الجاء الى محمل. فتلك هي التي تقف عرضة امام معاني التفسير قبل التنبيه على ضعفها او تأويلها. وقد قال الواحدي في

اول كتابه في اسباب النزول : اما اليوم فكل احد يخترع للآية سببا ويختلق افكارا وكذبا , ملقيا زمامه الى الجهالة , غير مفكر في الوعيد وقال لا يحل القول في اسباب نزول الكتاب الا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل .

وقد تصفحت اسباب النزول التي صحت اسانيدها فوجدتها خمسة اقسام .

الاول: هو المقصود من الآية يتوقف فهم المراد منها على علمه فلابد من البحث عنه للمفسر وهذا من تفسير مبهمات القران.

الثاني : هو حوادث تسببت عليها تشريعات احكام وصور تلك الحوادث لا تبين مجملا ولا تخلف مدلول الآية بوجه تخصيص او تعميم او تقييد ولكنها اذا ذكرت امثالها وجدت متساوية لمدلولات الآيات النازلة عند حدوثها .

ثالثا: هو حوادث تكثر امثالها تختص بشخص واحد فنزلت الآيةلإعلانها وبيان احكامها وزجر من يرتكبها فكثيرا ما تجد المفسرين وغيرهم يقولون نزلت في كذا وكذا وهم يريدون ان من الاحوال التي تشير اليها تلك الحالة الخاصة فكأنهم يريدون التمثيل.

رابعا : هو حوادث حدثت وفي القران آيات تناسب معانيها سابقة او لاحقة فيقع في عبارات بعض السلف ما يوهم ان تلك الحوادث هي المقصود من تلك الآيات مع ان المراد انها مما يدخل في معنى الآية ويدل هذا النوع وجود اختلاف كثير بين الصحابة في كثير من اسباب النزول .

خامسا: قسم يبين مجملات ويدفع متشابهات مثل قوله تعالى : ومن لم يحكم بما انزله الله فأولئك هم الكافرون "

فاذا ظن احد ان **من** للشرط اشكل عليه كيف يكون الجور في الحكم كفرا ثم ان اذا علم ان سبب النزول هم النصارى علم ان من موصولة وعلم ان الذين تركوا الحكم بالإنجيل لا يتعجب منهم ان يكفروا بمحمد.

وثمة فائدة اخرى عظيمة لأسباب النزول وهي ان في نزول القران عند حدوث حوادث دلالة على اعجازه من ناحية الارتجال.

المقدمة السادسة

في القراءات

1/ لولا عناية كثير من المفسرين بذكر اختلاف القراءات في ألفاظ القران حتى في كيفية الأداء ، لكنت بمعزل عن التكلم في ذلك, لان علم القراءات علم جليل مستقل ، قد خص بالتدوين والتأليف ، وقد اشبع فيه أصحابه، وأسهبوا بما عليه مزيد ، ولكن

رأيتني بمحل الاضطرار إلى أن القي عليكم جملا في هذا الغرض تعرفون بها مقدار تعلق اختلاف القراءات بالتفسير ، ومراتب القراءات قوة وضعفا كي لا تعجبوا من أعراضي عن ذكر كثير من القراءات أثناء التفسير.

2/ من اجل ذلك اتفق علماء القراءات والفقهاء على أن كل قراءة وافقت وجها في العربية ،ووافقت خطا في المصحف – أي مصحف بن عفان- وصح سند راويها فهي قراءة صحيحة لا يجوز ردها.

قال أبو بكر ابن العربي : ومعنى ذلك عندي أن تواترها تبعا لتواتر المصحف الذي وافقته، وما دون ذلك فهو شاذ ،يعني وان تواتر المصحف ناشئ عن تواتر الألفاظ التي كتبت فيه.

3/ ثم إن القراءات العشر الصحيحة المتواترة قد تتفاوت بما يشتمل عليه بعضها من خصوصيات البلاغة و الفصاحة ،أو كثرة المعاني أو الشهرة ، وهو تمايز متقارب ،وقل أن يكسب إحدى القراءات

في تلك الآية رجحانا. على أن كثير من العلماء كان لا يرى مانعا من ترجيح قراءة غلى غيرها ومن هؤلاء ،الإمام محمد بن جرير الطبري ، والعلامة الزمخشري وفي أكثر ما أرجحه سنذكره في مواضعه.

4/ تنبيه : أنا اقتصر في هذا التفسير على التعرض لاختلاف القراءات العشر المشهورة خاصة في أشهر روايات الراوين عن أصحابها، لأنها متواترة، وان كانت القراءات السبع قد امتازت على بقية القراءات بالشهرة بين المسلمين في أقطار الإسلام .

وابني أول تفسير على قراءة نافع عيسى بن مينى المدني الملقب بقالون , لأنها القراءة المدنية إماما وراويا ، ولأنها التي يقرا بها معظم أهل تونس، ثم اذكر خلاف بقيه القراءات العشرة خاصة . والقراءات التي يقرا بها اليوم في بلاد الإسلام من هذه القراءات العشر ، هي قراءة نافع برواية قالون في بعض القطر التونسي، وبعض القطر المصري، وفي ليبيا، وبرواية ورش في بعض القطر التونسي وفي جميع

القطر الجزائري ، وجميع المغرب الأقصى . وقراءة عاصم برواية حفص عنه في جميع الشرق من العراق , والشام ، وباكستان والهند ، وتركيا، والأفغان.

المقدمة السابعة

قصص القران

1/ امتن الله على ربه [redacted] : " نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا الكتاب وان كنت من قبله لمن الغافلين "
فعلمنا من قوله " أحسن" أن القصص القرآنية لم تسق مساق الأحماض[1](1) وتجديد النشاط، وما يحصل من استغراب مبلغ تلك الحوادث من خير أو شر، لان غرض القران أسمى وأعلى من هذا ، ولو كان من هذا لساوى كثيرا من قصص الأخبار الحسنة الصادقة فما كان جديرا بالتفضيل على كل جنس القصص.
و**القصة**: الخبر عن حادثة غائبة عن المخبر بها، فليس ما في القران من ذكر الأحوال الحاضرة في زمن نزول قصصا مثل ذكر وقائع المسلمين مع عدوهم ، وجمع القصة قصص بكسر القاف.
و أما **القصص** بفتح القاف فاسم للخبر المقصوص ،وهو مصدر سمي به المفعول ، يقال قص على فلان إذا اخبره بخبر.
وأبصر أهل العلم أن ليس الغرض من سوقها قاصرا على حصول العبرة والموعظة مما تضمنته القصة من عواقب الخير أو الشر، ولا على حصول التنويه بأصحاب تلك القصص في عناية الله بهم، أو التشويه بأصحابها فيما لقوه من غضب الله عليهم ، كما تقف عنده إفهام القانعين بظواهر الأشياء واوائلها، بل الغرض من ذلك أسمى واجل.
إن في تلك القصص لعبرا جمة ،وفوائد للأمة , ولذلك نرى القران يأخذ من كل قصة اشرف مواضيعها ،ويعرض عما عداه ليكون تعرضه للقصص منزها عن التفكك بها . من اجل ذلك كله لم تأت القصص القران متتالية متعاقبة في سورة او سور كما يكون كتاب تاريخ، بل كانت مفرقة موزعة على مقامات تناسبها، لان معظم الفوائد الحاصلة منها لها علاقة بذلك التوزيع ,هو ذكر وموعظة لأهل الدين , فهو بالخطابة أشبه.

[1] من أحمض القوم : أفاضوا فيما يؤنسهم

وللقران أسلوب خاص هو الأسلوب المعبر عنه بالتذكير ، وبالذكر في آيات يأتي تفسيرها , فكان أسلوبه قاضيا .ونجد من مميزات القران قصص نسج نظمها على أسلوب الإيجاز، ليكون شبهها بالتذكير من
شبهها بالقصص، مثال ذلك قوله تعالى في سورة القلم:"فلما رأوها قالوا إنا لضالون بل نحن محرومون قال أوسطهم الم اقل لكم لولا تسبحون" [1]

المقدمة الثامنة :
في اسم القران، وآياته، وسوره، وترتيبها، وأسمائها.

1/ هذا غرض له مزيد اتصال بالقران، وله اتصال متين بالتفسير، لان ما يتحقق فيه ينتفع به في مواضع كثيرة من فواتح السور، ومناسبة بعضها لبعض, فيغني المفسر عن إعادته.
معلوم لك أن موضوع علم التفسير هو القران, لتبيان معانيه، وما يشتمل عليه من إرشاد ، وهدى ’وآداب ،وإصلاح حال الأمة من جماعتها ،وفي معاملتها مع الأمم التي تخالطها بفهم دلالته اللغوية والبلاغية ،فالقران هو الكلام الذي اوحاه الله تعالى كلاما عربيا إلى محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة جبريل على أن يبلغه الرسول إلى الأمة باللفظ الذي أوحى به اليه للعمل به، ولقراءة ما تيسر لهم أن يقرءوه منه في صلواتهم، وجعل قراءته عبادة .
2/ فالقران اسم للكلام الموحى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جملة المكتوب في المصاحف المشتمل على مائة وأربع عشرة سورة، اولها الفاتحة ،وأخرها سورة الناس، صار هذا الاسم علما على هذا الوحي، وهو على وزن فعلان، وهي زنة وردت في أسماء المصادر مثل: غفران، وشكران، بهتان، ووردت زيادة النون في أسماء الإعلام مثل: عثمان، حسان، وعدنان.
واسم قران صال للاعتبارين ، لأنه مشتق من القراءة لان أول ما بدئ به الرسول من الوحي :" اقرأ باسم ربك"
وقال تعالى :" وقرانا فرقناه لتقراه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا".

[1] نظر، تفسير التحرير و التنوير، الطاهر بن عاشور، ج1، م1، ص 64-69

3/ فاسم القران هو الاسم الذي جعل علما على الوحي المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ولم يسبق أن أطلق على غيره قبله وهو أشهر أسمائه، وأكثرها ورودا في آياته ,وأشهرها دورانا على السنة السلف.

4/ وله أسماء أخرى هي في الأصل أوصاف، أو أجناس أنهاها في الإتقان إلى نيف وعشرين ، والذي اشتهر إطلاقه عليه منها ستة: التنزيل، والكتاب، الفرقان، الذكر، الوحي، وكلام الله .

وكان المسلمون في عصر النبوة، وما بعده يقدرون تارة بعض الأوقات بمقدار ما يقرا القارئ عددا من الآيات كما ورد في حديث سحور النبي صلى الله عليه وسلم انه كان بينه وبين طلوع الفجر مقدارا ما يقرا القارئ خمسين اية.

قال أبو بكر ابن العربي:" وتحديد الآية من معضلات القران ،فمن آياته طويل وقصير، ومنه ما ينقطع ومنه ما ينتهي إلى تمام الكلام.

وقال الزمخشري :"الآيات علم توقيفي"

5/ وآيات القران متفاوتة في مقادير كلماتها، فبعضها أطول من بعض، ولذلك فتقدير الزمان بها في قولهم: مقدار ما يقرا القارئ خمسين آية مثلا، تقدير تقريبي ،وتفاوت الآيات في الطول تابع لما يقتضيه مقام البلاغة من مواقع كلمات الفواصل على حسب ما قبلها من الكلام.

6/وأما ترتيب الآي بعضها عقب بعض فهو بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم حسب نزول الوحي، ومن المعلوم ان القران نزل منجما آيات، فربما نزلت عدة آيات متتابعة أو سورة كاملة.

7/واتساق الحروف واتساق الآيات ،واتساق السور، كله عن الرسول الله صلى الله عليه وسلم .

9/إن الغرض الأكبر للقران : هو إصلاح الأمة بأسرها، فإصلاح كفارها بدعوتهم إلى الإيمان، ونبذ العبادة الضالة ، وإتباع الإيمان ،والإسلام. وإصلاح المؤمنين بتقويم أخلاقهم ، وتثبيتهم على هداهم ، وإرشادهم إلى طرق النجاح، وتزكية نفوسهم ،ولذلك كانت أغراضه مرتبطة بأحوال المجتمع في مدة الدعوة ،فكانت آيات القران مستقلا بعضها عن بعض، لان كل آية منه ترجع إلى غرض الإصلاح والاستدلال عليه .

10/وقوف القران : الوقف هو قطع الصوت عن الكلمة حصة يتنفس في مثلها المتنفس عادة، والوقف عند انتهاء جملة من جمل القران قد يكون أصلا لمعنى الكلام، فقد يختلف المعنى باختلاف الوقف مثل قوله تعالى :" وكابن من نبي قتل معه ربيون كثيرا"[1].

المقدمة التاسعة :

في ان المعاني التي تتحملها جمل القران تعتبر مرادة بها.

1- ان العرب امة جبلت على ذكاء القرائح, وفطنة الافهام, فعلى دعامة فطنتهم وذكائهم اقيمت اساليب كلامهم, وبخاصة كلام بلغائهم ولذلك كان الايجاز عمود بلاغتهم, لاعتماد المتكلمين على افهام السامعين, كما يقال" لمحة دالة" لاجل ذلك كثر في كلامهم: المجاز والاستعارة والتمثيل والكناية والتعريض والاشتراك والتسامح في الاستعمال كالمبالغة, والاستطراد والامثال والتلميح والتصليح واستعمال الجمل الجبرية في غير افادة النسبة الخبرية واستعمل الاستفهام في التقرير او الانكار ونحو ذلك.

2- وملاك ذلك كله توفير المعاني ,واداء ما في نفس المتكلم باوضح عبارة واخصرها, ليسهل اعتلاقها بالاذهان. واذا كان القران وحيا من العلام سبحانه وقد اراد ان يجعله اية على صدق رسوله, وتحدى بلغاء العرب بمعارضة اقصر سورة منه كما سياتي في المقدمة العاشرة فقد نسج نظمه نسجا بالغا منتهى ما تسمح به اللغة العربية من الداقائق, واللطائف لفظا ومعنى بما يفي باقصر ما يراد بلاغة الى المرسل اليهم.

فجاء الفران على اسلوب ابدع مما كانو يعهدون واعجب, فاعجز بلغاء المعاندين عن معارضته, ولم يسعهم الا الاذعان, سواء في ذلك من امن منهم: لبيد بن ربيعة, وكعب بن زهير, النابغة الجعدي , ومن استمر على كفره عنادا : الوليد بن مغيرة, فالقران من جانب اعجازه يكون اكثر معاني من المعاني المعتادة التي يودعها البلغاء في

[1] ينظر، تفسير التحرير و التنوير، الطاهر بن عاشور، ج1، م1، ص 70-92

كلامهم, وهو لكونه كتاب تشريع وتاديب وتعليم كان حقيقيا بان يودع فيه من المعاني , والمقاصد اكثر ما تحتمله الالفاظ في اقل ما يمكن من المقدار, بحسب ما تسمح به اللغة الواردة هو بها التي هي اسمح اللغات بهذه الاعتبارات,ليحصل تمام المقصود من الارشاد الذي جاء لاجله في جميع نواحي الهدى.

اما اذا تساوى المعنيان فالامر اظهر مثل قوله تعالى " وما قتلوه يقينا" اي ما تيقنو قتله ولكن توهموه, او ما ايقن النصارى الذين اختلفو في قتل عيسى علم ذلك يقينا فهموه خطا.

ومثل قوله تعالى " فانساه الشيطان ذكر ربه" ففي كل كلمة (ذكر) و (ربه) معنيان ومثل قوله " قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي " ففي بفظ (رب) معنيان وقد تكثر المعاني بانزال لفظ الاية على وجهين او اكثر, تكثيرا للمعاني مع ايجاز اللفظ , وهذا من وجوه الاعجاز .

3/ وانك لتمر بالاية الواحدة فتتاملها و تتدبرها فتنهال عليك معاني كثيرة يسمح بها التركيب على اختلاف الاعتبارات في اساليب الاستعمال العربي.وقد تتكاثر عليك فلا تك من كثرتها في الحصر ولا تجعل الحمل على بعضها منافيا للحمل على البعض الاخر' وان كان التركيب سمحا بذلك.

4/ومن ادق ذلك واجدره بان ننبه عليه في هذه المقدمة استعمال اللفظ المشترك في معينه, او معانيه دفعة , واستعمال اللفظ في معناه الحقيقي ومعناه المجازي معا ,بل له ارادة المعاني المكنى عنها مع المعاني المصرح بها , وارادة المعاني المستتبعات بفتح الباء من التراكيب المستتبعة بكسر الباء.[1]

المقدمة العاشرة :
في إعجاز القران

1- لم أر غرضا تناضلت له سهام الافهام, ولا غاية تسابقت إليها جياد الهمم, فرجعت دونها حسرى, واقتنعت بما بلغته من صبابة نزرا- مثل الخوض في إعجاز القران, فانه لم يزل شغل أهل البلاغة الشاغل,وموردها للمعلول والناهل ومغلى سبائها للنديم والواغل.

[1] ينظر، تفسير التحرير و التنوير، الطاهر بن عاشور، ج1، م1، ص 93 -100

ولقد سبق أن ألف علم علم البلاغة مشتملا على نماذج من وجوه إعجازه, والتفرقة بين حقيقته ومجازه, إلا انه باحث عن كل خصائص الكلام العربي البليغ, ليكون معيارا للنقد أو آلة للصنع, ثم ليظهر من جراء ذلك كيف تفوق القران على كل كلام بليغ بما توفر فيه من الخصائص التي لا تجتمع في كلام آخر للبلغاء حتى عجز السابقون واللاحقون منهم عن الإتيان بمثله.

2- أما أنا فارد تام الم بك – أيها المتأمل- إلمامة ليست كخطرة طيف ولا هي كإقامة المنتجع في المربع, حتى يظله الصيف, وإنما هي لمحة ترى منها كيف كان القران معجزا, وتتبصر منها نواحي إعجازه, وما أنا بمستقص دلائل الإعجاز في آحاد الآيات والسور, فذلك له مصنفاته, وكل صغير وكبير مستطر, ثم ترى منها بلاغة القران, ولطائف أدبه التي هي فتح لفنون رائعة من أدب لغة العرب, حتى ترى كيف كان هذا القران فتح بصائر, وفتح عقول, وفتح مماليك, وفتح أدب غض ارتقى به الأدب العربي المرتقى لم يبلغه أدب امة من قبل.
وان علاقة هذه المقدمة بالتفسير: هي أن مفسر القران لا يعد تفسيره لمعاني القران بالغا حد الكمال في غرضه ما لم يكن مشتملا على بيان دقائق من وجوه البلاغة في أية المفسرة بمقدار ما تسمو إليه الهمة من تطويل واختصار, فالمفسر بحاجة إلى بيان ما في آي القران من طرق الاستعمال العربي وخصائص بلاغته, وما فاقت به آي القران في ذلك حسبما اشرنا إليه في المقدمة الثانية لئلا يكون المفسر حين يعرض عن ذلك بمنزلة المترجم لا بمنزلة المفسر.
3- فمن أعجب ما نراه خلو معظم التفاسير عن الاهتمام بالوصول إلى هذا الغرض الأسمى إلا عيون التفاسير, فمن مقل مثل معاني القران لأبي إسحاق الزجاج, والمحرر الوجيز للشيخ عبد الحق بن عطية الأندلسي ومن كثر مثل الكشاف, ولا يعذر في الخلو عن ذلك إلا التفاسير التي نحت ناحية خاصة من معاني القران مثل أحكام القران, على أن بعض أهل الهمم العلية من أصحاب هذه التفاسير لم يهمل هذه العلق النفيس كما يصف بعض العلماء كناب أحكام القران لإسماعيل بن إسحاق بن حماد المالكي البغدادي, وكما نراه في في مواضع من أحكام القران لأبي بكر بن العربي.

4- واعلم أن لاشك في أن خصوصيات الكلام البليغ, ودقائقه مرادة لله تعالى في كون القران معجزا, وملحوظة للمتحدين به على مقدار ما يبلغ إليه بيان المبين, وان إشارات كثيرة في القران تلفت الأذهان لذلك, ويحضرني الآن من ذلك أمور: احدها: ما رواه مسلم ,والأربعة عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال الله تعالى :" قسمت الصلاة- أي سورة الفاتحة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سال, فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين, قال الله تعالى: حمدني عبدي, وإذا قال الرحمان الرحيم ,قال الله تعالى: أثنى علي عبدي, وإذا قال ملك يوم الدين ,قال مجدني عبدي ,وقال مرة فوض إلي عبدي, فإذا قال إياك نعبد وإياك نستعين, قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سال, فذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين , قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سال."

ففي هذا الحديث تنبيه على ما في نظم فاتحة الكتاب من خصوصية التقسيم, إذ قسم الفاتحة إلى ثلاثة أقسام, وحسن التقسيم من المحسنات البديعية مع ما تضمنه ذلك التقسيم من محسن التخلص في قوله :"فإذا قال :" إياك نعبد وإياك نستعين " قال هذا بين وبين عبدي, إذا كان ذلك مزيجا من القسمين الذي قبله والذي بعده.

5- ومرجع هذا الصنف من الإعجاز إلى ما يسمى في عرف علماء البلاغة بالنكت البلاغية, فان بلغائهم كان تنافسهم في وفرة إيداع الكلام من هذه النكت, وبذلك تفاضل بلغائهم, فلما سمعوا القران عن كل من سمعه من بلغائهم من النكت التي تفطن لها ما لم يجد من قدرته قبلا من مثله.

6- نرى من أعظم الأساليب التي خالف بها القران أساليب العرب انه جاء في نظمه بأسلوب جامع بين مقصديه وهما: مقصد الموعظة , ومقصد التشريع, فكان نظمه يمنح بظاهرة السامعين ما يحتاجون أن يعلموه, وهو في هذا النوع يشبه خطبهم.

7- ومن أساليبه, ما اسميه بالتفنن, وهو بداعة تنقلاته من فن إلى فن بطرائق الاعتراض , والتنظير, والتذييل , والإتيان بالمترادفات عند التكرير, تجنبا لثقل تكرير الكلم, وكذلك الإكثار من أسلوب

الالتفات المعدود من أعظم أساليب التفنن عند بلغاء العربية, فهو من القران كثير, ثم الرجوع إلى المقصود فيكون السامعون في نشاط متجدد بسماعه وإقبالهم عليه.

8- وجاء القران بأسلوب في الأدب غض جديد صالح لكل العقول, متفنن إلى أفانين أغراض الحياة كلها, معط لكل فن ما يليق به من المعاني, والألفاظ, واللهجة, فتضمن المحاورة, والمخاطبة, والجدل ,والأمثال, والقصص, والتوصيف والرواية.

9- **مبتكرات القران :** هذا وللقران مبتكرات تميزها بها نظمه عن بقية كلام العرب .

فمنها انه جاء على أسلوب يخالف الشعر لا محالة, وقد نبه عليه العلماء المتقدمون, وأنا أضم إلى ذلك أن أسلوبه يخالف أسلوب الخطابة بعض المخالفة , بل جاء بطريقة كتاب يقصد حفظه وتلاوته, وذلك من وجوه إعجازه, إذ كان نظمه على طريقة مبتكرة ليس فيها إتباع لطرائقها القديمة في الكلام.

10- ومن بديع الإيجاز في القران وأكثره ما يسمى بالتضمين, وهو يرجع إلى إيجاز الحذف, والتضمين أن يضمن الفعل أو الوصف معنى فعل أو وصف آخر ويشار إلى المعنى المضمن بذكر ما هو من متعلقاته من حرف او معمول فيحصل بالجملة معنيان .

11-عادات القران: يحق على المفسر ان يتعرف عادات القران من نظمه وكلمه, وقد تعرض بعض السلف لشيء منها, فعن ابن عباس:" كل كاس في القران فالمراد بها الخمر" .

وفي صحيح البخاري في تفسير سورة الأنفال قال ابن عيينة: ما سمي الله مطرا في القران إلا عذابا, وتسمية العرب الغيث كما قال تعالى-: " وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا "

وعن ابن عباس: أن كل ما جاء من (يا أيها الناس) فالمقصود به أهل مكة المشركون.

وقال الجاحظ في البيان:" وفي القران معان لا تكاد تفترق, مثل الصلاة ,والزكاة, والخوف والجوع, والجنة والنار, والرغبة والرهبة, والمهاجرين والأنصار, والجن والإنس"

قلت: والنفع والضر, والسماء والأرض.

12- وقد استقريت بجهدي عادات كثيرة في اصطلاح القران سأذكرها في مواضعها, ومنها أن كلمة (هؤلاء) اذا لم يرد بعدها عطف بيان يبين المشار إليهم فإنها يراد بها المشركون من أهل مكة كقوله تعالى :" بل متعت هؤلاء وآبائهم " وقوله :" فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين"

المبحث الثاني: الأساليب اللغوية

ج- أسلوب الاستثناء :

الاستثناء: في اللغة هو الثني بمعنى العطف لان المستثنى معطوف عليه بإخراجه من الحكم, أو بمعنى الصرف لأنه مصروف عن حكم المستثنى منه, وهو في اصطلاح النحاة الاخراج بالا أو إحدى أخواتها.

أركان الاستثناء: يتكون أسلوب الاستثناء من ثلاثة أجزاء:

المستثنى – المستثنى منه – أداة الاستثناء[1]. **(1**

الاستثناء **بالا** في مقدمات ابن عاشور :

(**إلا**) أداة استثناء وهي التي تقيد الإخراج من الحكم .

الأمثلة :

- فالاحتجاج بها انه ما قرأ بها **إلا** لإسنادها إلى استعمال عربي صحيح.
- ولا يصح قول القائل في التفسير **إلا** إذا توفرت فيه شروط الضلاعة.
- لا يحل القول في أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية والسماع من شاهدوا التنزيل.
- ولم يسعهم **إلا** الإذعان .
- ولا يعذر عن ذلك **إلا** التفاسير التي نحت ناحية خاصة من معاني القران.

وظيفة الاستثناء داخل السياق:

استعمل ابن عاشور الاستثناء في العديد من المواقع في خطبه العشر وتتمثل وظيفته الأساسية في السياق من خلال مخالفته للمتقدم على الأداة (أداة الاستثناء) فيما تقرر من أمر مثبت أو منفي.

وأسلوب الاستثناء في أكثر الحالات هو أسلوب أهل الحساب في عملية الطرح فهو بهذا يختص بإخراج الاسم الواقع بعد الأداة (المستثنى) من الحكم الواقع على الاسم.

علاقته بالحجاج :

ب- صيغة التوكيد

التوكيد :هو أسلوب يفيد تأكيد المعنى ورد الشك وهو على نوعين: لفظي,ومعنوي[2] **1)**

من أدوات وحروف التّوكيد: إنّ، وأنّ، ولام الابتداء، ونون التّوكيد الخفيفة، ونون التّوكيد الثقيلة، واللّام التي تقع في جواب القسم، وقد، والمفعول المطلق.

التوكيد ب (أن) و (إن) في مقدمات ابن عاشور :

(إن) و(أن) هما حرفان مشبهان بالفعل المعروفان,ويأتيان بمعنى التوكيد , تدخل على الجمل لتفيد تأكيد المعنى .

---

[1] اللمع البهية في قواعد اللغة العربية , محمد محمود عوض الله, الطبعة الثانية 2003

[2] محمد علي الصبان الشافعي":شرح أشموني على ألفية ابن مالك"، ضبطه وصححه وخرج شواهده إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية,بيروت,لبنان,ج3,ط1 , 1903 ص 107

- فضلا عن **أن** علم الأصول يضبط قواعد الاستنباط.
- وهي **أن** في نزول القران عند حدوث حوادث دلالة على إعجازه.
- لأنها القراءة المدنية إماما وراويا , ولأنها التي يقرا بها معظم أهل تونس
- **إن** في تلك القصص لعبرا جمة
- **إن** القران نزل منجما آيات
- **إن** العرب امة جبلت على ذكاء القرائح
- **انك** لتمر بالآية الواحدة.

التوكيد ب حرف "قد" :

قد حرفٌ يُفيد التَّحقيق والتَّشكيك، ولكنْ في حالة التّوكيد قد يختص ويسبق الفعل الماضي والفعل المضارع[1] .**(1)**

- و**قد** نبه عليه العلماء المتقدمون.
- **قد** خص بالتدوين والتأليف, **وقد** اشبع فيه أصحابه....
- و**قد** قال الواحدي في أول كتابه .

وظيفة التوكيد داخل السياق :

- انه يرفع توهم السهو من المتكلم, فتكرير الاسم يرفع هذا الظن.
- تثبيت الشيء في نفس السامع أو القارئ وتقويته وإزالة الشكوك وإبعاد الشبهات عما يراد الأخبار عنه ,وهو بطبيعة الحال تأكيد للحكم لا تأكيد المسند إليه أو المسند .
- اغناء النص الإنشائي وتقويته.

علاقة أسلوب التوكيد بالحجاج : يفيد التأكيد على فكرة ما، مثل استعمال "إن" للتوكيد، ويستخدم في أي حجاج

د/ **أسلوب الشرط :**

الشرط: معنى الشرط وقوع الشرط لوقوع غيره[2] **(1)**

1

2 المبرد , المقتضب ص 46 .

ويقول عنه ابن يعيش: ".....أما الشرط فلأنه علة وسبب لوجود الثاني" وتعليق الشيء على الشرط إنما هو وقف دخوله في الوجود على دخول غيره في الوجود[1] **(2)**

الشرط ب (**إذا**) في مقدمات ابن عاشور :

تحمل "**إذا**" معنية الظرفية الشرطية,

الأمثلة :

- و**إذا** اجزنا التفسير بالرأي بضوابطه,فانا لا نجيز صرف ظواهر الألفاظ .
- **فإذا** ظن احد أن من للشرط أشكل عليه كيف يكون الجور في الحكم كفرا.
- **إذا** تساوى المعنيان فالأمر اظهر .
- **إذا** كان القران وحيا من العلام..... فقد نسج نظمه نسجا بالغا .

الشرط ب **"إن "**

تختص "**إن**" بالشرط وهذا ما يميزها عن غيرها من الأدوات الشرطية التي يمكن أن تختص بالأساليب الأخرى كالاستفهام مثلا أو ظرفية وقد تعمل "**إن**" ظاهرة أو مضمرة. [2] **(3)**

الأمثلة:

- **وإن** كانت القراءات السبع قد امتازت على بقية القراءات بالشهرة بين المسلمين
- **وإن** أضافوا إلى المأثور أقوال الصحابة وأصحابهم وتلاميذهم,فقد اضطروا إذن إلى إدراج ما قاله هؤلاء برأيهم.

وظيفة الشرط داخل السياق:

علاقة الشرط بالحجاج: حيث تلازمت النتيجة الكائنة في جواب الشرط، بتحقق فعل الشرط، وارتبطا سببيا تتابعيا. ويعبر الشرط عن التفكير الاستنتاجي واستدعاء السابق اللاحق.

ا- صيغة النفي في المقدمات العشر :

[1] ابن يعيش , شرح المفصل , ص09 .

[2]

النفي : أسلوب النفي احد أساليب النظم في العربية ويستخدم المتكلم للدلالة على النفي أدوات متعارف عليها تتصدر النظم وتهيمن بمعناها على معنى الجملة عامة, وإنما يعمد المتكلم إلى النفي عندما يريد أن ينقض ما يتردد في ذهن المخاطب, والمخاطب يرسل النفي مطابقا لما يقتضيه حال المخاطب ويتم نظم الجملة المنفية بطريقة مناسبة بطرائق النفي المتنوعة[1] **(1).**

أدوات النفي : يظهر من تتبع كتب النحاة أن أدوات النفي هي : **"لا , ما , لم , لما , لن , ليس, إن**[2].تؤدي الأدوات وظيفة الربط والتعليق بين أجزاء التركيب لأنها تلخص في الجملة معاني النفي,والتأكيد والأمر والاستفهام والعرض والتحضيض, والترجي والتمني والشرط والنداء إضافة إلى الربط بين الأبواب المفردة داخل الجملة .[3]

الأداة لا:

تدخل **"لا"** على الاسم النكرة محولة معناه من الإثبات إلى النفي وتسمى عند البصريين ب (لا) النافية للجنس وعند الكوفيين ب (لا) للتبرئة ومن رغم اختلاف التسمية إلا أن مؤداها الدلالي واحد هو نفي الجنس من مدلول الخبر على سبيل الاستقصاء, فإذا دخلت (لا) على ما له في الخارج جاز أن يكون المنفي الوحدة أو الفرد, وجاز أن يكون يكون الجنس أو عموم الإفراد [4]

الأداة "لا" في مقدمات ابن عاشور :

ـ **فلا** باس من أن يقلد فيها الدخيل صاحبه

---

[1] سناء حميد البياتي,قواعد النحو العربي على ضوء نظرية النظم,دار وائل للنشر والتوزيع,عمان الأردن, ط1 ,2003,ص237

[2] انظر ذلك في كتب حروف المعاني,وكتب النحو,في أبواب ونواصب وجوازم الفعل الضارع والنواسخ والمشبهات بليس.

[3] اللغة العربية ,مبناها ومعناها, ص125.

[4] نفسه , ص 248

- فان ذلك من التفسير **لا** من مدده
- أن **لا** يتدبر القران حق تدبره .
- **لا** يمكن أن يفهم غيره من الآية
- **ألا** يخرج عما يصلح له لفظ العربية .
- **ولا** غاية تسابقت إليها جياد الهمم .

الأداة "ليس"

فعل يدخل على جملة ابتدائية, فينفيها في الحال وهي بمنزلة **"ما"** تدخل على الأسماء كثيرا وتتفق (ليس و ما) بزيادة (الباء) في الخبر المنفي بهما, على عكس زيادته في خبر **"لا"**[1] .

الأداة "ليس" في مقدمات ابن عاشور :

- **ليس** من مبادئ التفسير
- و**ليس** كل ما ورد عن الصحابة والتابعين في تفسير القران.
- **فليس** ما في القران من ذكر الأحوال.
- **ليس** الغرض من سوقها قاصرا على حصول العبرة .

الأداة "لم"

أداة نفي, تختص بالدخول على الفعل المضارع, وقد ورد ذكرها في القران الكريم تسعا ومائتي مرة سابقة المضارع المجزوم, لذلك ذكر النحاة أن من علامات الفعل المضارع قبول دخول "لم" وقد عبر ابن مالك في الألفية بقوله :

[1] شرح المفصل , ج4 / 322

سواهما الحرف كهل وفي ولم فعل مضارع يلي لم كيشم.

وقد اتفق النحاة على أن "لم" تنفي المضارع وتخلصه للماضي وتجزمه, قال سيبويه:" إذا قال فعل فان نفيه لم يفعل "[1].

الأداة "لم" في مقدمات ابن عاشور:

- **لم** تتسع التفاسير وتتفنن مستنبطات معاني القران .
- لأنه **لم** يثبت عنه .

- **لم** يضبط مراده بالمأثور
- **ولم** يسبق أن أطلق على غيره .
- **لم** يرد بعدها عطف بيان يبين المشار إليهم .
- **لم** يكن مشتملا على بيان دقائق من وجوه البلاغة .

وظيفة النفي داخل السياق:

علاقته بالحجاج : يفيد في إبطال حجة الخصم، فالنفي إنما هو رد على إثبات فعلي أو محتمل حصوله من قبل الغير. وحجاجية النفي تتمثل في كونه لا يرد إلا في مقام مواجهة الغير والرد على إثباتٍ حاصلٍ أو ممكن الحصول من قِبل الغير.

[1] :التعبـ الزمـ عند النحاة العرب، ج3 , ص 117

المبحث الثالث: الروابط الحجاجية :

الروابط الحجاجية يتحدد مفهومها بأنها مكونات لغوية تداولية تربط بين وحدتين دلاليتين أو أكثر ضمن إستراتيجية حجاجية واحدة بحيث تسمح بالربط بين المتغيرات الحجاجية (بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة من الحجج) ومن بين هذه الروابط : الواو, الفاء, حتى, بل, لكن, لاسيما, بما إن, إذ, ربما, تقريبا..الخ وتؤدي هذه الروابط وظيفة جوهرية داخل الخطاب فهي تعمل على ربط وتنظيم بنية النص وتنشد التماسك والانسجام داخله كي نصل في النهاية إلى وحدة كلية تفضي مقدماته أو حججه إلى نتائجه وبذلك تعد أهم العناصر الحجاجية في الحجاج .[1]

ومن ابرز الروابط وأكثرها انتشارا في كتاب ابن عاشور "التحرير والتنوير" الروابط الآتية :

1/ الرابط الحجاجي (الواو) :

تعد "الواو" في الحجاج من أهم الروابط الحجاجية لأنها تجمع بين دورين:

الأول: هو الجمع بين الحجج وربط المعاني.

[1] ينظر: شكري مبخوت، نظرية الحجاج في اللغة ضمن كتاب أهم النظريات في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، فريق البحث و البلاغة و الحجاج، إشراف حمادي صمود، كلية الآداب، (د ت)، ص 375-376

الثاني: هو تقوية هذه الحجج وزيادة تمسكها بعضها ببعض وتقوية كل منها بالأخرى من اجل تحقيق النتيجة المبتغاة.

وينتج عن الربط ب"الواو" علاقة التتابع التي تجعل المخاطب يلقي حججه بطريقة متسلسلة ومرتبة, فالربط الحجاجي بواسطة هذه الأداة يسهم في بناء هيكلية مكونات الخطاب وضبط منهجه بربط المقدمات بالنتائج داخل الخطاب الواحد, وتعمل "الواو" على الربط النسقي أفقيا على عكس السلم الحجاجي [1].

ومن أمثلة الربط الحجاجي بالواو في سورة الأعراف :

قال الله تعالى : " **بابني ادم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين**" [2]

فالربط الحجاجي بواسطة الواو في هذه الآية قام بالوصل بين الحجة والأخرى, كما قام بترتيب هذه الحجج ورصفها لتشكيل البنية العامة ومن ثم تقوية وتدعيم النتيجة التي هي إباحة النعم والنهي عن الإسراف, فاحجج هنا جاءت مترابطة متسقة غير منفصلة وكل حجة هي في اثر سابقتها تساندها وتقويها وذلك بفضل الرابط الحجاجي "الواو".

فالمقصود من الآية هنا هو إباحة ما حرموه دون وجه حق وإبطاله لان كشف العورة هو من الفواحش ولا يعبد الله تعالى, وكذلك الأمر بالأكل والشرب فهو للإباحة وإبطال التحريم إلا ما كان إسرافا ذلك أنهم أيضا كانوا يحرمون في حجهم أكل الطعام إلا قوتا ولا يأكلون دسما, فحرمت الآية ذلك وإباحة التمتع بنعم الله تعالى من زينة ومأكل ومشرب وقد قيل :" إن هذه الآية قد جمعت أصول حفظ الصحة من جانب الغذاء فالنهي عن السرف نهي إرشاد لا نهي تحريم" [3].

---

1 عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، ط1، بيروت لبنان، 2004م، ص 472

2 سورة الأعراف الآية 31

3 محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير و التنوير، ص95

2/الرابط الحجاجي "لكن"

يعد الحرف **(لكن)** من الروابط الحجاجية التي من مهامها سوق الحجج او الربط بين الحجج المتعارضة وكذلك هي من الروابط المدرجة للحجج القوية, ونحويا تعد حرفا مشبها بالفعل من أخوات (إن) تدخل على الجملة الاسمية فتنصب المبتدأ اسما لها وترفع الخبر خبرا لها.." ولا تقع لكن إلا بين متنافيين, بوجه ما... قال الزمخشري: لكن للاستدراك توسطها بين كلامين متغايرين نفيا وايجابيا فتستدرك بها النفي بالإيجاب, والإيجاب بالنفي...والتغاير في المعنى بمنزلته في اللفظ.[1]

قال الله تعالى على لسان سيدنا نوح عليه السلام :**"قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين" .**[2]

وقال أيضا على لسان سيدنا هود عليه السلام :**"قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين " [3].**

ففي الآيتين الكريمتين جاءت "لكن" بين متنافيين متناقضين ومتعارضين إذ أن هنالك تعارض بين كل من الضلالة والسفاهة اللتان تتقدمان الرابط الحجاجي "لكن" وبين الرسالة الربانية التي تتميز بأسمى المعاني الروحية وأنبلها والتي تتلوا ذلك الرابط.

ويقول ابن عاشور : " والاستدراك الذي في قوله "ولكني رسول" لرفع ما توهموه حين خالف دينهم, أي هو في حال رسالة عن الله, مع ما تقتضي الرسالة من التبليغ والنصح والإخبار بما لا يعلمونه...

وشان (لكن) أن تكون جملتها مفيدة معنى يغاير معنى الجملة الواقع قبلها, ولا تدل عليه الجملة السابقة وذلك هو حقيقة الاستدراك الموضوعة له (لكن) فلا بدمن مناسبة

---

1 استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداوية، ص509

2 سورة الأعراف الآية 61

3 سورة الأعراف الآية 67

بين مضموني الجملة..وأكثر وقوعها بعد جملة منفية كما هو الحال في الآيتين لان النفي معنى واسع فيكثر أن يحتاج المتكلم بعده إلى زيادة بيان فيأتي بالاستدراك.[1]

3/الرابط الحجاجي "بل" :

وهو من الروابط التي وظيفتها سوق الحجج المدرجة للحجج المتعارضة أو المتعاندة مثله مثل (لكن) وتكمن حجاجيته في "أن المرسل يرتب بها الحجج في السلم بما يمكن تسميته بالحجج المتعاكسة, وذلك بان بعضها منفي وبعضها مثبت.لان "بل" أساس حرف إضراب, وله حالان: [2]

الأول : أن يقع بعد مفرده.

والثاني:أن يقع بعد جملة .

وقد وردت "بل" في قوله تعالى :

"إنكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم مسرفون"

وقد وردت "بل" هنا للإضراب على جهة الترك للانتقال من غرض إلى غرض من غير إبطال فلوط عليه السلام ينكر على قومه إتيانهم لفاحشة لم يأت بها احد من العالمين قبلهم ويوبخهم على استرسالهم في ذلك بتلك الفظاعة, فهم لا يقيمون وزنا لنصح لوط ولا يولونه اهتماما بل هم مستمرون في فعل المنكرات غير عابئين بنهيه, وقد جاءت "بل" في هذا السياق من غير إبطال فبعد أن كان الغرض في البداية هو الإنكار أي إنكاره على قومه إتيانهم الفواحش انتقل إلى غرض "الذم والتحقير والتنبيه إلى حقيقة حالهم "[3] فهم قوم مسرفون يجاوزون الحد في الشهوات وفي الباطل دون أدنى حق ودون عمل أي اعتبار للفطرة التي جبلوا عليها.

4/الرابط الحجاجي "الفاء"

1 التحرير و التنوير ج8، ص 193
2 استراتيجيات الخطاب، ص 514
3 التحرير و التنوير، ج8، ص 231

هي من الروابط الحجاجية التي تفيد في ترتيب الحجج وربط النتائج بالمقدمات أي عبر الربط بين السبب والنتيجة باستعمال الرابط الحجاجي (الفاء) الذي يؤمن الانتقال بينهما فهي بذلك بحصر المعنى وتحديد الفكرة وهو ما يسمح بإقامة بنية حجاجية مركبة من علاقات حجاجية بين الحجج والنتائج تقوم أساسا على "التتابع" ولذا تعد هذه العلاقة الحجاجية التي تقوم على التتابع من اقدر العلاقات التي تفيد في بناء النص وتوالده وانسجامه فهي تقوم بالربط بين الأحداث مما يجعل الفعل الحجاجي عند المتلقي مقنعا وبالتالي تسهم في توجيه سلوكه لأنها ضرب مخصوص من العلاقات التتابعية يحرص فيها المحاجج على ربط الأحداث والأفكار ربطا سببيا فيتولد عن ذلك استدلال مباشر للنتيجة.[1]

ومن أمثلة البنية الحجاجية المركبة بواسطة الرابط الحجاجي " الفاء" "

قال الله تعالى :" والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون* ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون*" [2]

وقصد من ذلك أن الأثر الناتج عن الوزن, هو تفاوت درجات العاملين بين من امن وبين من كفر وظلم نفسه واثر ذلك من ثواب أو عقاب لان الجزاء من جنس العمل وقد تفرع عن هذا الوزن بالحق :" فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون" فهو تفصيل للوزن ببيان أثره على قدر الموزون.ومحل التفريع هو قوله تعالى "فأولئك هم المفلحون" وقوله " فأولئك الذين خسروا أنفسهم" إذ ذلك مفرع على قوله " فمن ثقلت موازينه" وقوله "فمن خفت موازينه " [3]

إن الرابط الحجاجي (الفاء) في الآية الأولى قد ربط بين متغيرين حجاجيين حيث جاء قوله تعالى :" فأولئك هم المفلحون" استئنافا وجوابا لما سبقه وهو الشرط " فمن ثقلت موازينه".

---

[1] ينظر حازم طارش حاتم، التراكيب التعليلية غي القرآ الكريم (دراسات حجاجية)، أطروحة دكنوراه كلية الآداب الجامعة المستنصرية، 2014

[2] سورة الأعراف، الآيتان 8 و 9

[3] التحرير و التنوير، ج 8، ص31

5/الرابط الحجاجي "إن"

غالبا ما يرتبط الرابط الحجاجي "إن" بغرض التأكيد والإثبات للشيء, وهذا ما يجعل من هذه البنية القرآنية أقوى حجاجيا وأكثر إقناعا لان الرابط (إن) في الحجاج هو من الأدوات الفعالة حجاجيا لم يوفره هذا النوع من الربط من إثبات وتأكيد للأمور والقضايا والحجج, فيكون بذلك اقدر على الإقناع كون التأكيد على الكلام وإثباته يزيل ما حوله من شك أو ارتياب وإبهام و هو ما يترك أثرا في نفس المتلقي ويحثه على تقبله والاقتناع به, ويؤكد الغرض التأكيدي الاثباتي ل (إن) قول الجرجاني :" إن المتكلم يلجا إلى استعمال (إن) حين يريد أن يبين أم ما بعدها يصح به ما قبله ويحتج له ويبين له ويبين وجه الفائدة فيه [1].

المثال:

قال الله تعالى :ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوا خوفا وطمعا إن رحمة الله قريب من المحسنين " [2]

يقول الطاهر بن عاشور : وجملة "إن رحمة الله قريب من المحسنين" واقعة موقع التفريع على جملة "وادعوه" فلذلك قرنت ب (إن) الدالة على التوكيد وهو لمجرد الاهتمام بالخير إذ ليس المخاطبون بمتمردين في مضمون الخير, ومن شان (إن) إذ جاء على هذا الوجه أن تفيد التعليل وربط مضمون جملتها بربط الجملة التي قبلها

[1] دلائل الإعجاز، ص 211
[2] سورة الأعراف الآية 56

فتغني عن فاء التفريع, ولذلك فصلت الجملة عن التي قبلها فلم تعطف لاغناء (إن) عن العاطف.[1]

الخلاصة :

ومن خلال تحليلنا السابق يتأكد لنا أن تلك الروابط والأساليب الحجاجية التي وردت في الآيات والمقدمات قد ساهمت في حجاجيته وتسهيل تلقي الخطاب وفهمه والاقتناع به, فقد ساعدت الروابط بالوصل بين الحجج والنتائج وتتابعها وبيان ترتيبها أو تعارضها أو تأكيدها أو سببيتها أو تثبيت النتيجة أو الانتقال والترقي ومنها ما أفاد في تدعيم الحجج بعضها بعضا ومساندتها أو تقوية النتيجة وتوجيه القول..الخ.

ولم يقتصر دورها على ما ذكرنا فحسب وإنما تعداه لتساهم تلك الروابط في تشكيل البنية الحجاجية اللغوية العامة للخطاب حيث ساعدنا هذا الربط على بناء وتكامل الخطاب وتوالد النص وانسجامه وتوافقه مما يسهل على المخاطب أن يتلقى هذا الخطاب وان يفهمه وتتحقق بذلك النتيجة المرجوة وعي " التأثير والإقناع" ولا يقتصر هذا على المتلقي في عصره وإنما يتجاوزه ليصل إلى المتلقي الكوني عبر مختلف العصور لتتبين لنا روعة هذا الخطاب الرباني وتقنياته وأساليبه المبهرة في المحاججة والاستمالة.

[1] التحرير و التنوير، ج8، ص 176

الخاتمة

يعد هذا السفر المفيد والمتتع في ثنايا البحث العلمي والذي اقترن بموضوع المنحنى الحجاجي في تفسير الطاهر بن عاشور "دراسة في المقدمة ", توصلنا إلى مجموعة من النتائج أبرزها هذا البحث هي:

-يبين علم التفسير لصاحبه ما يمكنه أن يعتصم به لئلا يضل.

-يعد علم التفسير الوسيلة التي تحقق فهم كلام الله عز وجل والوصول إلى المقصود منه.

-إن الحجاج فن من فنون الإقناع إذ يعتبر أسلوبا تواصليا يعتمد أساسا على تقديم الحجج والبراهين والأدلة من اجل الإثارة والتأثير والإقناع لذا لا يكون في أمر يقين أو إلزامي وإنما يكون في أمر مختلف فيه.

-كل نص خطابي حجاجي هو بالضرورة نص إقناعي, والعكس غير صحيح. - يهدف الحجاج إلى تحقيق الإقناع.

-الأساليب الحجاجية هي مكونات لغوية تداولية, تربط بين وحدتين دلاليتين أو أكثر ضمن إستراتيجية حجاجية واحدة تسمح بالربط بين المتغيرات الحجاجية.

-الحجاج اعم من التفسير عموما بعيدا عن التفسير القرآني, إذ التفسير آلية من آليات الحجاج والحجاج فن يقوم على الجدل أما التفسير فهو للبيان والتوضيح.

-ابن عاشور من المفسرين القلائل الذين اعتادوا بالية الحجاج في تفاسيرهم.

-الصيغ الحجاجية التي استهلها ابن عاشور من صميم ما لهجت به المناهج النقدية المعاصرة الذي اتخذت التداولية أرضية لها.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم 1- المصحف الشريف

-البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد لأبو الفضل إبراهيم، ،2/ 147الطبعة الثانية، دار المعرفة، بيروت- لبنان.

-الجاحظ, البيان والتبيين ج1

-اسماعيل علوي ، دار الروافد الثقافية ، لبنان ، منشورات ابن النديم ، الجزائر ط1،2،ج2013،

-باتريك شارودو , الحجاج بين النظرية والأسلوب, تر,احمد الودرني, دار الكتاب الجديد المتحدة, ,بيروت ,لبنان,ط,2009 ,1

- -بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي البرهان في علوم القرآن، ، تحقيق: محمدأبو الفضل ابراهيم، ،2/ 147الطبعة الثانية، دار المعرفة، بيروت- لبنان.

-بن عطية الأندلسي: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،تقدم مجد مكي،داربن حزم,

-حازم طارش حاتم، التراكيب التعليلية في القرآن الكريم (دراسة حجاجية) أطروحة دكتوراه كلية الآداب الجامعة المستنصرية،2014

-حافظ إسماعيل علوي, الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة, ج،4

-حبيب أعراب ،الحجاج والاستدلال الحجازي ، عناصر استقصاد نظري ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته ، دراسات نظرية وتطبيقية محكمة في الخطابة الجديدة ، مجموعة من المؤلفين ، إشراف -حافظ إسماعيل علوي ، دار الروافد الثقافية ، لبنان ، منشورات ابن النديم ، الجزائر ط،2013، 1ج،2

-سناء حميد البياتي,قواعد النحو العربي على ضوء نظرية النظم,دار وائل للنشر 2003

والتوزيع,عمان الأردن، ط1 ,

-لسان العرب لابن منظور، مادة (سفر،) .369 /4

-لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، مادة (فسر،(

،5/ 55دار صادر، بيروت- لبنان، 1388هـ-1968م. بتصرف.
-محمد الطاهر بن عاشور, التحرير والتنوير، الدار التونسية، الدار الجماهيرية للنشر، تونس ،ج'1ج, 2ج3
-محمد علي الصبان الشافعي":شرح أشموني على ألفية ابن مالك،" ضبطه وصححه وخرج شواهده إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب **1903** العلمية,بيروت,لبنان,ج,3ط , 1
-محمد محمود عوض الله، اللمع البهية في قواعد اللغة العربية, الطبعة الثانية 2003.
-سامية الدريدي , دراسات في الحجاج , عالم الكتب الحديث , تونس 2009م,
-سناء حميد البياتي,قواعد النحو العربي على ضوء نظرية النظم,دار وائل للنشر والتوزيع,عمان الأردن, ط,12003 ,
-شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من --أرسطو إلى اليوم، فريق البحث في البلاغة و الحجاج، إشراف حمادي صمود، كلية الآداب، (د.ت(،
-صابر الحباشة, التداولية والحجاج, مدخل وتوجيه,
-عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، ط ،1بيروت لبنان،
-شريف علي بن محمد الجرجاني كتاب التعريفات، ، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1416هـ- 1335م.
-محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الجامع الأعظم -(حياته وأثاره) .د. بلقاسم الغالي. دار ابن حزم. بيروت–لبنان- ط1997-1418 .1م-
-محمد العبد، النص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الاقناع، مجلة فصول، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، صيف خريف، 2002م العدد ،60
-محمد علي الصبان الشافعي":شرح أشموني على ألفية ابن مالك،" ضبطه وصححه وخرج شواهده إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية,بيروت,لبنان,ج,3ط1 , 1903
-محمد نبيل غنايم: دراسات في التفسير. دار الهداية للطباعة، مصر، دط، 1995
مختار الفجاري, الفكر العربي الإسلامي من تأويله المعنى إلى تأويله الفهم, عالم

الكتب الحديث, عمان, ط,2009 ,1
-مقدمة تفسير الراغب الأصفهاني، لأبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد عبد العزيز بسيوني، الطبعة الأولى، كلية الآداب، جامعة طنطا، 1420هـ- 1999م. بتصرف
-هشام فروم ، تجليات الحجاج في الخطاب النووي ، دراسة وسائل الإقناع الأربعون النبوية ، أنموذجا رسالة ماجستير ، إشراف لخضر بلخير ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة2009/2008

الفهرس

مقدمة ..... أ- د
المدخل
منهجه في التفسير : 6
التفاسير التي اعتمدها الشيخ مصادر لتفسيره: 8
إضافاته في التفسير : 9
تحليل مفردات القران: 9
الآراء حول تفسيره : 10
الفصل الأول: التفسير الحجاجي
المبحث الأول: تعريف الحجاج 14
تعريف التفسير 16

المبحث الثاني: أنواع الحجج 17
المبحث الثالث: خصائص النص الحجاجي 21
آليات تحليل النص الحجاجي : 22
الفصل الثاني: دراسة مقدمة
شرح آلية التطبيق 25
المبحث الأول: مختارات من مقدمات ابن عاشور 26
المقدمة الأولى :في التفسير والتأويل وكون التفسير علما 26
المقدمة الثانية: استمداد علم التفسير 27
المقدمة الثالثة : في صحة التفسير بالرأي ومعناه 29
المقدمة الرابعة: فيما يحق أن يكون غرض المفـِّسر 31
المقدمة الخامسة : في أسباب النزول 33
المقدمة السادسة: في القراءات 34
المقدمة السابعة: قصص القران 35
المقدمة الثامنة : في اسم القران، وآياته، وسوره، وترتيبها، وأسمائها. 37
المقدمة التاسعة : في إن المعاني التي تتحملها جمل القران تعتبر مراده بها. .. 39
المقدمة العاشرة : في إعجاز القران 40
المبحث الثاني: الأساليب اللغوية 45
أ- أسلوب الاستثناء : 45
ب- صيغة التوكيد 46
ج- أسلوب الشرط : 47
د- صيغة النفي : 49
المبحث الثالث: الروابط الحجاجية:
1/الرابط الحجاجي (الواو) : 53
2/الرابط الحجاجي "لكن" 55
3/الرابط الحجاجي "بل" : 56
4/الرابط الحجاجي "الفاء" 57
5/الرابط الحجاجي "إن" 58

الخلاصة : 59
خاتمة 61
قائمة المصادر والراجع 63
فهرس